الباب الاول

في عموم البُرُد

الفصل الاول

في وصف البريد

البريد كلمة اعجميّة الاصل معناها مقطوع وسبب تسميته بذلك أن داره (داريوس) لما رتب البريد جعل لهُ دواب خصوصيّة مبتورة الذنب تمييزًا عن غيرها فسمّيت بريد ذنب اي مبتورة الذنب فلما عُرّبت حذف جزؤها الاخير فقالوا بريد وفي اللغة العربيّة يُطلق على حامل الرسائل العموميّة او الخصوصيّة كالمكاتيب وغيرها وعلى الخيّال والفارس ويشبه بهِ كل سريع السير او مستمرهُ وجمعهُ بُرد وهو في اصطلاح اهل المساحة عبارة عن اربعة فراسخ او اثني عشر ميلاً ومسير الرجل في اليوم

وفي علم الهيئة يُعرَف منهُ كميّة مسالك الامصار فراسخ واميالاً وقيل مسافة شهريّة او اكثر

وفي عرف سياسيّ الشرق يطلق فقط على بريد المراسلات القانوني العمومي وهو المشهور عند غالب اهل الشرق ولا سيما العرب حتى ظن بعضهم انهُ كلمة عربيّة الاصل وذهب آخرون الى انهُ كلمة اصطلاحيّة محرفة عن (بردي) وهو نوع كالورق كان يستعملهُ المصريون القدماء وقد اطلق على نقل

البردي بريدي ثم اختصر فصار بريدًا وهذا غلط ظاهر لان نوع البردي لم يستعملهُ الاَّ المصريون القدماء الَّذين لم يسمع عنهم أنَّهم رتَّبوا بريدًا خصوصيًّا للمراسلات ولا اختلطت بهم العرب الاَّ بعد ما بطل استعمال البردي من مصر. وثبوت اسبقيَّة ترتيب بريد المراسلات للعجم يثبت لنا كون هذا الاسم اعجميًّا كما ذكرنا

وهو يُعدُّ في اللغة العربيَّة دخيلاً كغيرهِ من الاسماء الكثيرة المتبادلة في اكثر اللغات ويدخل البريد في اصطلاح الحكومات وغالب امم هذه الايام تحت اسم بوستة

وهي كلمة لاتينيَّة الاصل معناها محل او مركز وذلك لان الرومانيين لما رتبوا البريد جعلوا لهُ مراكز متباعدة على مسافات معلومة لتجري فيها الخيل والسعاة وبسبب شهرة هذه المراكز اطلق على كل نقل الرسائل ومحلاتها الخصوصيَّة كما مر في اسم البريد

وقد ساعد ذلك ترتيبهُ الجديد الذي ظهر في اوربَّا كما سيعلم من فصلهِ التاريخي وحتى الآن لم يوضع للبريد اسم يلائمهُ مع ما وصل اليهِ من الاتساع المديد والنظام المفيد على ان سريان اسمهِ الحالي بين العالم ولا سيما لفظة بوستة جعل تغييرهُ صعبًا او مستحيلاً . وقد استلفت مؤخرًا احد الباحثين في امر البريد انظار اهل الشان الى وضع اسم عام ينطبق في المعنى على حالة البريد واشار بوجوب منح جائزة لمن يستنبط ذلك

والبريد يشمل كلما ينقل من الرسائل العموميَّة والخصوصيَّة بطرق مختلفة فما ينقلهُ الانسان والحيوان والمركبات العادية والناريَّة يعرف بالبريد البري

والذي ينقل على السفن الشراعيَّة والبخاريَّة وفي جوف الماء يعرف بالبريد البحري والذي ينقلهُ الحمام والبالونات يعرف بالبريد الجوي كما سيأتي تفصيل ذلك

وجميع هذه البرد تُقسم بحسب مقتضيات الاحوال الى ثلاثة اقسام كبرى وهي العسكري اي الحربي والملكي اي العمومي والخصوصي اي غير القانوني

(البريد الحربي) هو الذي يستعمل في زمن الحروب سواءٌ كان في داخليَّة الممالك او خارجيتها وهو من اصعب الاداوات واكثرها تفنناً وخطرًا على الناقل والمنقول وكل من وقف على وصف الحروب يعلم مقدار ما يكابدهُ المتحاربون من نفوس الرجال ونفيس الاموال فسخروا لهُ الانسان والحيوان والماء والهواء والغاز والبخار وطير السماء بغية انفاذ الرسائل المهمة على الطرق المتنوعة وهي

الطريقة الاولى ما ينقلهُ السعاة او الخيالة وهي اقدم الطرق حالاً واثبتها منوالاً

واهمُّ ما يلزمها هو انهُ ينتخب لها من الرجال اشدهم عدوًا ومن الخيالة اثبتهم على الركوب وابرعهم باساليب الزيغ عن نظر العدوّ واعلمهم بطرق البلاد ومفازوها وبعبارةٍ واحدة ادهاهم واقدرهم على اخفاء الرسائل حتى قال بعضهم في ذلك لو امكن رسل البريد في اوقات الحرب لوضعوا الرسائل تحت جلودهم (١)

(١) يحكى عن بعض الاقدمين في الشرق انهم كانوا يأتون بالساعي ويحلقون رأسهُ ويكتبون عليهِ صورة الرسالة التي يريدون ارسالها في وقت الحرب ثم يضعونهُ بالابر كما توشم اليد فينطلق الساعي الى رئيس الجيش ويخبرهُ بامرهِ فيحلو بهِ ويكشف عن رأسهِ فاذا امكنهُ تلاوة ما كتب عليهِ قرأهُ وفهم الغرض منهُ واذا حال دونهُ ظهور الشعر امر بحلقهِ ثانيةً وقرأ

ومكان ولا غنى عنها في المواصلات الحربيَّة

حجم الرسالة لا يزيد عن قيراطين مربعين من الورق الرهيف وعند وصول الرسالة للمحل المقصود كانوا يضعونها تحت المكرسكوب اي النظارة المعظمة ويفحصونها

وكان التراسل بالحمام في عهد السلطان نور الدين على نسق البريد الاعتيادي بنوع مستوفى النظام من مراكز ومستخدمين فشيد له ابراجًا خصوصية واقام لها نظارًا وحراسًا يراقبون وصول الحمام نهارًا وليلاً فكان كل برج يبعد عن الآخر اثني عشر ميلاً وعند حدوث امر ذي بال كان يعلق الخبر بعنق حمامة او يجعل ضمن قارورة صغيرة من الورق الذهبي وهو من ذهب خالص بلغ الغاية في الرقة والخفة . وذلك لتكون مع خفتها على الحمامة حافظة للرسالة من تأثير العوارض الجوية وكانوا يضعون ضمن القارورة رسالةً من الورق الرقيق يسمونه ورق البطاق ثم يوضعون على ظهر الرسالة وقت سفر الحمامة بالتدقيق التام و بعد قليل يطلقون حمامة أُخرى حاملة الخبر نفسهُ على النمط المذكور خوفًا من ضياعهِ . وكان حارس كل مركز حال وصول الحمامة الى البرج يقيد ساعة وصولها اليهِ وذهابها منهُ وذلك على ظهر الرسالة التي تحملها الحمامة

ومن ضمن اتقان هذا البريد الجوي انهُ كان لحمامهِ علامات يعرف بها تشبيهًا برسل البريد البري وهذه العلامات من نقش لطيف وهو اسم السلطان على منقار الحمامة وغيرها على رجليها وكان فك الرسائل من عنق الحمامة مفوضًا الى رئيس الحرس دون غيرهِ وكان الحراس يراقبون الجو على الدوام بالتناوب ليلاً ونهارًا خوفًا من ان يمر عليهم الحمام وهم عنهُ غافلون

وكانت مراكز الحمام التي رتبها السلطان نور الدين كثيرة جدًّا وهي بالخطوط الآتية

اولاً بين الاسكندرية والقاهرة

ثانيًا بين القاهرة ودمياط

ثالثًا بين القاهرة والصفين

رابعًا بين القاهرة ودمشق الشام عن طريق غزَّة والقدس

خامسًا بين دمشق و برثة على الفراة

سادسًا بين برثة وقيسرية

سابعًا بين حلب والرحبة على الفرات

ثامنًا بين دمشق و بيروت وطرابلس الشام

والطريقة الثالثة ما ينقل بواسطة البالونات (*) وهي ما زادها المتأخرون

تاسعًا بين دمشق وبعلبك

عاشرًا بين غزة والكرك على البحر الميت

وكان يوجد في محطات هذه الخطوط نحو سبعة آلاف حمامة وفي كل محطة عدد كاف من الحمام حتى ترسل الرسائل الى المحطة التالية في حال وصولها وهكذا حتى تصل الى المحل المقصود بحيث يكون سفر الحمامة بين محطتين فقط وكان يوجد في كل محطة عدد كافٍ من المستخدمين لمناظرة الحمام وخدمته ونقل الرسائل من حمام لآخر وتوزيع الحمام في محل اللزوم عند تكاثره في المحطة وغير ذلك

وكان له ادارة عمومية يرئسها رجل من كبار الحكومة وقيل ان محطة القاهرة كانت لا تخلو على الدوام من الفي حمامة

وقد كان عند الملك بيبرس بريد بالحمام وقد بقي الحمام مرتبًا في مصر الى القرن الخامس عشر بين القاهرة والاسكندرية ودمياط

وكان استخدام الحمام معروفًا قبل التاريخ المسيحي ومستعملاً في غير الحروب وقد جاء ذكرهُ في زمن العاب اليونان الأولمبية وسباق العجلات عند الرومانيين

واول ماجاء عنهُ ان مصارعًا من جزيرة اجين كان يأخذ معهُ حمامة الى محل الالعاب الأولمبية فاذا تغلَّب على مصارعيهِ علق في عنقها قطعة من الارجوان واطلقها فتبلغ بيتها في ذلك اليوم فيعرف اهلهُ بفوزهِ

وكان الذين لا يستطيعون الذهاب الى سباق العجلات في رومية يرسلون اليهِ اصدقاءهم وغلمانهم ومعهم حمام البطاق فيطلقونهُ عند نهاية السباق مصبوغًا او منضبًا بلون الحزب الذي فاز في السباق فترجع الى اوكارها فيعرف اصحابها من اللون ما اذا كانوا قد ربحوا او خسروا ومن ذلك تنبه الأمم الذين بعدهم الى صلاحية الحمام للتراسل

على ان المنبه الحقيقي الذي لهُ الفضل الاول في ذلك انما هو سيدنا نوح عليهِ السلام على ما جاء في التوراة وهو انهُ ارسل حمامة من الفلك اثناء الطوفان فعادت اليهِ بغصن من شجر الزيتون في منقارها فهذه اول حمامة أُطلقت من السفينة الى البر وآخر حمامة اشتهر اطلاقها من السفينة الى البر حمامة بدرو الثاني امبراطور البرازيل حيث حملها رسالة الوداع الى بلادهِ التي تنزَّل عن ملكها في سنة ١٨٨٩

باختراعاتهم ومن التجارب التي حصلت ظهرلها فوائد مبينة وهي وان كانت

وكان الحمام مستعملاً في المحلات التجارية قبل انشاء السكك الحديدية واستعمال الرسائل البرقية وكان معظم استعماله في الشرق بين مدينة حلب واسكلة اسكندرونة وفي الغرب بين لندن و باريس وانتبرس وامستردام وفرنكفورت

وفي سنة ١٨٤٠ م رتبت شركة هافاس في باريس التراسل بالحمام بين لندرة وبركسل وباريس وقد صادف ذلك نجاحاً عظيماً لانهُ لم يكن حينئذٍ سوى باب واحد للمواصلات على وجه السرعة وهو التلغراف الهوائي (على طريقة ساب) الذي كان يعطل سيرهُ اقل ضباب يحدث في الجو فبواسطة الحمام كانت الاخبار المهمة التي تنشرها الجرائد الانكليزية في الصباح تنقل من لندرة الساعة ٨ صباحاً فتصل الى باريس الساعة ٢ بعد الظهر

وبهذه المثابة كان الحمام يقطع في السفر بين هاتين العاصمتين مسافة متوسطها ست ساعات اما اخبار بروكسل فكان يوصلها الحمام الى باريس في مسافة اربع ساعات وبقي هذا الترتيب حتى امتداد الطرق الحديدية والتلغرافات

وحبًّا بالاقتصاد في عدد المراقبين ورود الحمام كان منصوباً في مراكزهِ اسلاك معلق بها اجراس تنبه المراقبين بوصول الحمام حال وقوفهِ عليها . واكثر البلاد في هذا العصر رغبة واعتناء في امر الحمام حكومة بلجيكا حيث متعين لهُ معرضاً رسميًّا بايام معلومة للمسابقة بتقاطر اليهِ اهم كثيرة بين صاحب حمام ومتفرج و بطاق فيهِ عدة الوف من حمام الرسائل ولصاحب الحمام السابق جائزة من نفس الحكومة وكان للحمام عند بعض الافراد مكانة عظيمة حتى كانوا يتسابقون لاحراز الاصيل منهُ كالسابقة بالخيل الجياد و يعتنون بتعليمهِ حتى يفوق غيرهُ في الطيران على ان اصحابهُ كانوا يلاقون احيانًا من الخسائر ما يلاقيهِ بريد الحمام الحربي

من ذلك ان تاجرًا في سورية اصطاد حمامة فوجد معها رسالة علم منها ان صنف العنص قليل في بلاد انكلترا فاشترى كمية وافرة ربح فيها مبلغًا ينيف على مئة الف ريال فصح بذلك ماقيل "مصائب قوم عند قوم فوائد"

وحكي عن آخر في حلب انهُ كان لهُ حمامة سريعة الطيران فراهن صاحبًا لهُ على انها تبلغ ثغر اسكندرونة قبل وصول حمامتهِ اليها بربع ساعة فلما اطلقتا معًا حلقت الحمامة الاولى في الجو حسب عادتها حتى اشرفت على خليج العجم فظنتهُ البحر الابيض المتوسط كما علم من

دون فوائد الحمام في السرعة والاستتار الاَّ انها في اوقات الحرب تعد اكثر اهميَّة ولذلك قد جعلت هذه الطريقة حركة جديدة في ترتيب التراسل الحربي

الفحص الآتي ولذا تاهت عن الثغر المقصود ولم ترجع الى حلب الاَّ بعد ثلاثة ايام فخسر صاحبها الرهن حيث عادت حمامة صاحبهِ قبلها حاملة رسالة من اسكندرونة . فاغتاظ صاحب الحمامة الاولى وضربها فقتلها ثم شقَّ بطنها فوجد في حوصلتها نوعًا من الحبوب لم يكن لهُ وجود الاَّ في الهند ولم يكن منهُ في ذلك الفصل في الحقول الاَّ في جزيرة سيلان فاستنتج انها قطعت ثلاثة آلاف ميل ذهابًا وإيابًا في ثلاثة ايام

وللحمام اخبار ونوادر كثيرة غير ماذكر ولما كانت لا تخرج بالمضمون عما شرحناهُ فقد اكتفينا بهِ حبًّا بالاختصار واقتصارًا على ما يهم القارئ معرفته

(*) البالونات هي الطيارات الغازية وقد افادت مستعمليها كثيرًا وقيل ان ظفر الجنرال جوردان في حرب فلوروس كان معظمهُ متوقفًا على الرسائل التي ارسلها اليهِ ضباط فرنسويون يخبرونهُ فيها عن مراكز النمسويين وحركاتهم

واهم برد البالونات عددًا ونظامًا ما استخدمهُ منها الفرنسويون في حربهم الاخيرة مع المانيا سنة ١٨٧٠ فرتبوها للتراسل مع الجهات المحصورة والتي لم يصلها العدوّ فنجحوا في ذلك نجاحًا عظيمًا

وبعد ان زعموا انها لاتصلح لان تكون بريدًا حربيًّا وقطعوا الامل من فائدتها عادوا فعولوا عليها واجتهدوا في عمل بالونات كثيرة بكل سرعة وفي مدة قصيرة اتوا منها نحو سبعين بالونًا لنقل الرسائل

واول بريد ارسلهُ الفرنسويون بواسطة البالونات كان زنة مراسلاتهِ ٢٢٧ ليبرة ومجموع ما ارسلوهُ من البالونات الحاملة للرسائل في مدة الحصار التي تبلغ نحو الاربعة اشهر (٦١ بالونًا) خلاف البالون الاول منها ٥٤ بالونًا ارسلتها ادارة البريد وكان فيها نحو ٣٥٠٠٠٠ رسالة يبلغ وزنها نحو عشر طولوناطات وكان اهم التراسل جاريًا مع باريس فصدر منها في وقت الحصار مازنتهُ ١٨٠٠ ليبرة من الاوراق منها ما هو مطبوع ومنها ما هو خطابات

وبهذه الوسائط لم تنقطع الاخبار عن الباريسيين في كل مدة الحصار الاَّ خمسة عشر يومًا فقط وذلك بسبب الاحتياطات القوية التي اتخذها الالمانيون اذ ذاك لقطع المواصلات

والطريقة الرابعة التراسل مع المياه وهي اقل طرق التراسل الحربي استعمالاً فانها لم تتخذ الاَّ عند تعذر التراسل بالطرق الاخرى الآنفة الذكر وذلك لبطئها وعدم امكان المبادلة بها بين الطرفين بل تصدر من جهة واحدة بحسب سير الماء بين اقسام الجيش اي ان التراسل لا يكون الاَّ من الجيش الى الذي بعده اتباعاً لجري الماء كما لا يخفى (***)

ومع ذلك تُعدّ فوائد بريد البالونات في اوقات الحرب عموميّة حيث بواسطتها يمكن عموم الاهالي من التراسل واول من استعمل البريد الحربي بواسطة البالونات الفرنسويون وذلك في حرب فلوروس سنة ١٧٩٤ وفي حروب اميركا وغيرها مثل حصار اوبوج وشالرز وقد استعملت ايضاً في حرب فرنسا مع ايطاليا

وكان معظم فائدتها للفرنساويين خصوصاً في واقعة سلفريو على انهُ قد استعملها ايضاً الاميركيون ونجحوا بها في حروبهم الاهلية ما بين سنة ١٨٦٠ و ١٨٦٥ و١٨٧٨ وآخر استعمالها كان في حرب سنة ١٨٧٠ التي انتشبت بين فرنسا والمانيا وذلك من ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٧٠ الى ٨ يناير سنة ١٨٧١

وقبل ان نجاح الفرنسويين بواسطة البالونات كان اكثر من البروسيين لان ضيقهم كان يوجبهم لابداء امور خارقة العادة فيكتسبون من ذلك مصادفة مزية التجارب وممّا جاء عن ذلك انهم رتبوا لادارة البالونات ملاّحي السفن فحصلوا منهم على فوائد ظاهرة لكونهم متدربين على الاعمال الشبطة والاسفار المخطرة اكثر من غيرهم

وحكي انهُ بينما كان مدبر احد البالونات يشتغل ذات مرة بالنجاة من خطر الاعداء المحدق بهم بدت منهُ حركة غير مقصودة كانت سبباً لارتفاعهم بغتةً مسافة بعيدة فاكتسبوا بذلك من الضرر فائدة كما قال الشاعر

عداي لهم فضلٌ عليَّ ومنّة فلا ذهب الرحمن عني الاعاديا
هم بحثوا عن ذلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

حيث اكتشفوا امراً كان سرهُ من قبل ذلك مجهولاً فسبحان من يعلم الانسان ما لم يعلم

(***) كيفيّة ارسال البريد مع الماء هو ان توضع الرسالة ضمن صندوق محكم الاقفال ويجعل ثقلهُ متوازناً بحيث لا يطفو على وجه الماء ولا يغرق في قاعهِ بل يكون

ولكلٍّ من طرق التراسل في اوقات الحرب اخطار متنوعة لا نقتصر على البريد وحامليهِ بل تتصل ايضاً بالمركز الاصلي المتعلق بهِ التراسل لانهُ من سقوط البريد يكتشف العدو على سر عدوه وهذه الاخطار المتنوعة بين طبيعيةٍ وصناعيةٍ

فالطبيعيةٌ مثل تساقط الطيور الجارحة على حمام الرسائل وافتراسها وهي طائرة ومعاكسة تيارات الرياح لها وللبالونات في حال الطيران ومثل تيه الخيالة والسعاة الحاملين للرسائل عن الطريق او مصادفتهم وحوشاً كاسرة لاضطرارهم الى المرور في اراضٍ غير مطروقة للاختفاء عن وجه العدو وغير ذلك. والاصطناعيةٌ مثل اطلاق نيران العدو او ارسال طيور او بالونات او سريات عسكريةٌ من قبلهِ للايقاع بحاملي الرسائل ولكن لما كان لا بد للمتحاربين من مراسلة قومهم والوقوف على ما يهمهم فلا بد من ركوبهم هذا المركب الخطر

اذا لم يكن الاَّ الاسنة مركب فلا يسع المضطر الاَّ ركوبها

حتى في هذا العصر حيث جميع الوسائط الحديثة مثل الطرق الحديدية والتلغرافات وغيرها تمسي في اوقات الحرب عديمة الفائدة

متوسطاً بينها منعاً لظهورهِ او وقوفهِ على الارض ثم يلقى في النهر او الترعة فيندفع بالماء لغاية مركز الجيش الآخر وهناك يقع في شباك تكون منصوبةً له

قيل ان الهنود اول من استعمل هذه الطريقة ضمن النارجيل (جوز الهند) وقد عرفها اسكندر الكبير (ذو القرنين) وكان قوّاد جيشهِ يظنون ان سقوط الجوز من اشجارهِ بالماء طبيعيًّا او يكون من قوارب النقل ولكن فطنة الاسكندر ابت الاَّ الوقوف على الحقيقة فامر بكسر بعض جوز النرجيل فوجد به رسائل هندية

ومن قول المؤرخ بلينيوس يظهر ان الرومانيين لم يكونوا يجهلون هذه الطريقة

وقيل ان القرطاجنيين استعملوا ايضاً التراسل الحربي في الماء وانما عوضاً عن وضعها في صندوق كانوا يجعلونها في جوف الحيوانات المقتولة ويلقونها في الماء

لانهُ من المقرر ان اول ما يوجه اليهِ نظر المتحاربين تعطيل الطرق الحديديَّة والاسلاك البرقيَّة لقطع عموم المواصلات حتى لو لم يجرِ ذلك العدو فقد تجريهِ احيانًا حكومة البلاد لعدم استخدامها او اكتشاف امر منها ولاسيما في هذه الايام التي اتصلوا فيها الى ان يسترقوا الاخبار من اسلاكها بدون ان يشعر بذلك المتراسلون وذلك بواسطة الآلات التي اخترعت مؤخرًا

ولكل شيء آفة من جنسهِ حتى الحديد سطا عليهِ المبردُ

واشد الخطر على السعاة والخيَّالة اذا كانوا حاملين انذارات للعدو تتعلق بالحرب فالملك او الرئيس اذا كان من العتاة المتمردين لايتأخر عن اسرهم او اعدامهم اشارةً الى رفض المخابرة او اهانة طالبيها

اما الآن فقد درست آثار هذا التوحش وتبددت ظلمتها اذ سطعت انوار التمدن الحقيقي وعرفت القوانين الحربيَّة ولم يعد يعتمد عليها الَّا في حروب الهمج غير النظاميَّة

وكيف كانت الحال فينبغي ان تكون رسل البريد الحربي من ذوي الرشاقة والشجاعة

فقد حكي عن اقدام رسل البريد في حرب فرنسا انهُ مع تحكيم الحصار على مدينة باريس قد خاطر خمسة وثمانون رسولاً لانفاذ الرسائل بين صفوف الالمانيين فلم ينجح منهم الَّا ثمانية وتمكن ثلاثة من الرجوع الى المدينة

اما الحمام فكان اقل خطرًا من الخيالة والسعاة لبعدهِ عن النظر وخفتهِ ولم يتعاظم خطرهُ الَّا من عهد ظهور اختراع النظارات والبنادق البعيدة الرمي ومن حوادث اخطار الحمام القديمة الَّتي وصلت الينا ان الصليبيين لما

حاصروا مدينة اورشليم اكتشفوا على سرّ القائد العربي الذي كان حينئذٍ بين انطاكية واورشليم بانهُ يميل للتسليم اليهم من الحمامة التي سقطت في وسط جيشهم بسبب انقضاض طير جارح عليها

والعدد العظيم الذي فقد من حمام السلطان صلاح الدين الايوبي والسلطان نور الدين في حروبهما بمصر لايخلو من وقوع جانب منهُ بيد الاعداء كذلك عدد الحمام الذي رجع الى باريس في وقت حرب فرنسا مع المانيا سنة ١٨٧٠ كان قليلاً جداً بالنسبة لعدد ما ارسل منهُ مع البالونات لانهُ كان عرضةً لنيران بنادق الالمان الشهيرة

والبالونات ولئن يكن بريدها اوسع نطاقاً للتراسل حيث يتمكن بها جميع الاهالي من استطلاع الاخبار المشوقة الاّ انها اكثر عرضةً للاخطار من الحمام لكبر حجمها وتمكن التيارات الهوائيّة من معاكستها والعدوّ من الايقاع بها

وقد دلتنا اخبار حرب سنة ١٨٧٠ عن سقوط عدد منها غير قليل في خطوط الاعداء وبعضها تجاوز حدود البلاد وان جانباً منها سقط في البحر بدفع التيارات الهوائيّة. من ذلك البالون المسمى واشنطون قد خرج من باريس في ١٣ نوفمبر حاملاً للبريد وبينما كان مجتازاً مراكز البروسيانيين على ارتفاع بين ٢٥٠٠ و٣٠٠٠ قدم اطلقوا عليهِ الرصاص حتى اضطرّ الذين فيهِ ان يخاطروا بانفسهم برفع البالون عدة مئات من الاقدام فوق العلو القانوني

والآخر المسمى اورليان دفع الى بلاد نروج ونزل على مسافة ٦٠٠ ميل من شمالي كرستيانة وثلاثة منها طمس خبرها فلم يسمع شيء عنها ثم قرّ الرأي اخيرًا على استعمالها ليلاً بدون اشعال نور فيها تخلصاً من نار العدو فصار البريد

محفوفاً بالاخطار من جهةٍ أُخرى لان المتولين ادارة البالونات اصبحوا لا يعرفون معدل سفرهم ووجهته ولا بعدهم عن الارض

ولا شك ان سقوط غالب البالونات كان ناشئاً عن هذا الرأي وفي حصار مدينة باريس وقع في يد الالمانيين سبعة بالونات كانت حاملة المراسلات ما بين باريس وبعض البلدان

وكثيراً ما كانت تنتشب الحرب بين بالونات الفريقين وهم طائرون في الجوّ فلا تنتهي الاَّ باتلاف احد الفريقين او كليهما

وقد يصادف البريد الذي يرسل مع المياه ايضاً موانع واضرار كغيره مثل وقوف صندوق الرسائل على بعض الشعب او سقوطه في مصايد الاعداء اذا كانوا من العارفين بطريقة هذا التراسل

وبالجملة فان حوادث البريد الحربي واخطاره كثيرة جدًّا ولم يذكرها المؤرخون القدماء الاَّ بنوع الاختصار في معرض الكلام عن امر آخر

على ان الايضاحات الوافية التي أُخذت من اقوال المتأخرين وشواهد الحوادث الحديثة كافية لتكون قياساً عمومياً عن الاحوال الماضية والحاضرة ولا يخفى ان صحف الاخبار قد جعلت تسهيلات عظيمة لمؤرخي هذا العصر حتى تمكنوا من شرح الحوادث باكثر ايضاح من تواريخ الاعصر الخالية

ومن قوانين البريد الحربي ان المتولين توصيل مراسلاته مأمورون بأنهم عند وصولهم الى درجة الخطر يعدمون جميع الرسائل التي برفقتهم بأي طريقة كانت لعدم وقوعها بيد الاعداء والاَّ عوقبوا أشد العقاب

وفي قوانين بعض البلاد انهُ اذا كان حامل الرسائل لا يقدر على تبرئة

نفسهِ والاثبات على ان الرسائل لم تقع في يد العدو بنوع الاهمال فيحاكم محاكمة الخائن للوطن ويعاقب عقاب المجرمين لان وقوع المراسلات يعد من اعظم المضار واكبر العار ولذا كان الشهم منهم يحافظ على المراسلات اكثر من المحافظة على حياتهِ ويختار الموت في المناضلة عن موت المعاقبة كما قيل

لا تجزعنَّ ولو بدت زرق الاسنة منك حمرا
لابد من ورد الحما م فمت كريم النفس حرًّا

وقد جعلت صرامة هذه الاحكام الى هذا المقدار لما يترتب على تسليم المراسلات من الاضرار لانهُ كثيرًا ما كان سقوط بريد او تأخيرهُ سببًا لفناء ارواح عديدة واموال طائلة يضيق دون سردها هذا الكتاب واحتسابًا من خروج هذا المؤلف عن حدودهِ نكتفي بذكر طرف من الحوادث التي تأتَّت عن فقدان البريد الحربي او تأخيرهِ

فمن ذلك ماوقع بين اواخر القرن الماضي واوائل الحالي اولاً في واقعة ابي قير فان فقدان بريد الفرنسويين كان سببًا لتلف اسطولهم العظيم والثاني تأخر البريد الانكليزي في الحرب التي كانت بين انكلترا وفرنسا فكان ايضًا سببًا لخسارة اغلب تجار لندره بواسطة اشاعة روتشلد بعكس الواقع في الدوائر التجاريَّة فجلب بذلك لنفسهِ الكسب العظيم الذي كان علة لثروتهِ الشهيرة واصاب غيرهُ خسائر لا تعوض

وليس للبريد الحربي مراكز معلومة لانهُ يسير مع الظروف التي تضطرهُ اليها الاحوال وقد يدخل البريد العمومي تحت ادارة البريد الحربي في زمن الحروب والثورات العموميَّة او وقوع حوادث بالبلاد ذات اهمية فلا يكون

نقلهُ وتعيين مواعيدهِ ومقدار مراسلاتهِ الاَّ بحسب الطرق وموافقة الاحوال المعلومة لقواد الجيش ولكي تكون المراسلات تحت مناظرة احكام المضطرين الى فحص ما يكون منها ذا شبهة وقد جعلوا لذلك في الممالك المنظمة محلات خصوصيَّة يسمونها بما معناهُ (الغرفة المظلمة) [1] للكشف عن المراسلات الصادرة والواردة من الاشخاص المشتبه فيهم واليهم سواء كان في امور عموميَّة او خصوصيَّة على ان هذه الاجراآت تنجز بكل شرف حيث تناط برجال مشهود لهم بحسن السيرة ومشهورين بالناموس والشرف نحو الوطن والامة وذلك مراعاة لحرمة المراسلات وحفظ اسرارها ثم ان الذي يوجد من المراسلات خالياً من الشبهة يوصل لمحلهِ والَّتي يستدل منها على شبهة فيجري اللازم نحو اربابها بحسب القوانين اما المراسلات الَّتي تكون محررة برموز مثل ارقام او علامات سريَّة فهذه بعد ان يجري كل الطرق اذا تعسر حلها او معرفة اربابها تحفظ او تعدم بحسب ما يتراءى اما ترتيبات البريد اذ ذاك ونظاماتهِ الاداريَّة نحو المراسلات وغيرها فلا تكون تحت رابطة خصوصيَّة ولا قوانين ثابتة بل تابعة لمقتضيات الاحوال كما سبق القول

---

(١) قيل ان اول من اتخذ ترتيب الغرفة المظلمة (بست جوف) او بستوجيف) الذي كان مستشاراً اولاً لاليصبات ملكة روسيا حيث كان جاعلاً له غرفة سماها الغرفة السوداء في مركز التلغراف يسرق بها الاشارات البرقية التي ترد الى سفراء الدول ويحفظ خلاصتها وبهذه الواسطة نال الفوز في السياسة وقيل انها طريقة قديمة جدًّا من عهد اسكندر الكبير (ذي القرنين) وقد استعملها عندما داخلهُ القلق من تلون جيشهِ وتذمر البعض من رجال دولتهِ وخواصهِ فخاف سوء العقبى واخذ يطلع على المراسلات بنفسهِ في محل خصوصي

البريد العمومي

البريد العمومي هو اعظم اقسام البرد اتساعاً واعمها انتفاعاً وهو بحسب تقلباته وترقيه في درجات النظام يقسم الى ثلاثة ادوار

الدور الاول من ابتداء نشأته اي القرن الخامس ق.م الى القرن الرابع عشر ب.م

كان البريد سائراً على محور واحد وكانت برد جميع الامم المتقدمة من الفرس والرومانيين والعرب (***) وغيرهم متناسقة الترتيب وغاية ما يعلم

*** للعرب في نظام البريد فضل مثل ما لهم في غيره ولذلك قد شرح المؤرخون عن احواله عندهم اكثر من باقي البريد

ولما كان بوصفه يمكن المطالع الوقوف على ترتيب برد الاجيال المتقدمة ويعد بين العالم من الآثار المستحسنة قد اثبتنا جل ما جاء عنه اتماماً للفائدة

واول ما استعمل العرب لنقل البريد الابل ثم استبدلوها بالبغال ثم بالخيل لسرعتها وكان لكل سفر بريد رئيس يتولى قيادة المسافرين

وميل العرب الطبيعي للتنقل بالاسفار كان اعظم مساعد على اطراد سير البريد الطويل ما بين البلاد الشاسعة بكل ضبط

واول من رتبه في الاسلام المهدي بن المنصور العباسي اقامه بين مكة والمدينة واليمن وذلك سنة ١٦٦ هجريّة وكانوا يسمون المدبر العام بصاحب البريد

وهذه الوظيفة كانت عندهم من الخطط العالية التي لا يوليها الاّ الخليفة نفسه ولا يتولاّها الاّ ذو الاهليّة ويلقبونه بعامل البريد ويسمون باقي الموظفين بالبريدي

واما رؤساء الخطوط الّذين يتولون قيادة البريد في السفر ويلاحظون مراكز الطريق فيسمونهم (فرونق) وهي كلمة معرفة عن برونك الفارسيّة معناها منذر او دليل وكان للمسافرين علامة خصوصيّة سيأتي ذكرها في فصل عمال البريد

اما المؤرخون الافرنج فقد نقلوا شيئاً كثيراً عن احوال بريد العرب وبالغوا في

من احوال البريد القديمة انهُ كان لهُ مراكز في الطريق اي محطات يبعد

اتساع نطاقهِ والثناء على انتظامهِ بالنسبة الى ذلك العصر

من ذلك ما جاء في كتبهم ان ابتداء ترتيب البريد كان عند العرب بعد هجرة النبي صلى الله عليهِ وسلم بامر اول خليفة وكان ينسع باتساع فتوحاتهم الّتي بلغت مسافات شاسعة واعظم اتساع ونظام في بريد العرب

ثم على عهد الخلفاء العباسيين في بغداد فان محطات البريد بلغت اذ ذاك نحو الف محطة وكانت تسمى عندهم بالسكك

وكان للبريد ثمانية خطوط كبرى اي عموميّة وذلك ما بين بغداد وكلّ من البلاد الآتية حلب والشام . ومصر والحجاز . واليمن والعراق . وارمينية وحدود فارس

ومع هذا الاتساع كانت الاشغال سائرة بكل دقة في مواعيد السفر والوصول والامنيّة فقد كان لكل خط فرنوق لملاحظة سير السعاة والخيالة وحالة المحطات

وقد كان هذا بمثابة مفتش وكان جميع هولاء الفرنوقات مضطرين ان يقدموا تقاريرهم عن كل ما يحدث في الخطوط الى عموم الادارة في بغداد الّتي كانت النقطة المركزيّة

والرئيس العام يعرض ملخص ما يهم من ذلك على الخليفة نفسهِ الذي كان يهتم بالبحث عن احوال البريد وعمالهِ ويصدر اوامرهُ بتعيين الروساء ورواتبهم وكان للبريد لائحة عموميّة تحتوي على قوانين البريد وسيرهِ وجغرافية الطرق وبيان الاسفار وكان ينفق على البريد مبالغ وافرة قبل ان تفقة فرع اليمن فقط كانت تبلغ نحو اربعة ملايين درهم سنويًا وهي عبارة عن اربعة ملايين ونصف من الفرنكات

ومن ذلك يعلم قدر نفقات باقي الخطوط وما كان يبذلهُ العرب لتنظيم البريد وقدر اهميتهِ عندهم

ويظهر من بعض الاخبار الّتي تؤيدها الآثار انهُ كان لدمشق مركز مهم لبريد العرب حتّى انهُ بقي اسمهُ الى الآن مطلقًا على اشهر محل من المدينة وهو (باب البريد) قال الشاعر

ما بين جابيها وباب بريدها قمرٌ يغيبُ والف بدر يطلعُ

وقيل سبب تسمية هذا المحل باسم البريد انهُ كان مركزهُ فيهِ في ايام العرب وقيل بل لان البريد كان يمر منهُ . وقيل غير ذلك والله اعلم . واطلاق اسم البريد على هذا المحل يشابه اطلاقهُ على غيرهِ من المواضع الّتي اشتهرت باسم البريد كاجام البريد مثلاً

الواحد عن الآخر مسيرة يوم لراحة المسافرين ودواب البريد

وكان مدار اعمالهِ على نقل مراسلات حكومة البلاد واشرافها وكانت مكاتيب الاهالي ترسل مع السعاة عند سنوح الفرصة في اوقات غير منتظمة

وكان مسافرو بريد الرومانيين بعضهم يحمل اجراساً او آلة تشبه الناقوس الصغير يقرعونها وقتاً بعد آخر او ينفخون بالصور وذلك اشارةً الى مرور البريد

وفي اوقات سير البريد غير المستعجل كانوا يتناوبون الترنم بالاناشيد المتنوعة وهي اشبه بحداء العيس المعروف عند العرب

واذ كانت مواعيد البريد متباعدة فكانت مصالح البرد تطلق التنبيه بالمدينة عن يوم سفرهِ ويوم وصولهِ

الذي قال عنهُ ياقوت انهُ كان يكسكر (ولعلهُ عسكر) قبل خراب البطيحة نهر يقال لهُ الجنب وكان عليهِ طريق البريد الى ميسان ودستميسان والاهواز في جنبهِ القبلي فلما تبطحت البطائح سمي ما استاجم من طريق البريد آجام البريد

وكانت مراكز بريد العرب وابراج الحمام المنتشرة انساً في الفلوات الموحشة وملجأً في الاخطار المجحفة وكان من احسن دواعي السلوّ لمأموري الابراج في وحدتهم سجع الحمام المطوق ولا سيّما في اوقات البكر وعند الهبوب من النوم

وقد خربت تلك المراكز والابراج وعبثت بها ايدي الاهمال ولم يبقَ منها الآن الاّ بعض آثار تهيج التذكار ومما يستحق الذكر عن اهتمام العرب في امر البريد ان احد الخلفاء العباسيين كان مغرماً بالبريد حتّى انهُ امر بان يكون مرورهُ من طريق قصرهِ الخاص فكان يهرع الى شرفتهِ عند مرور كل بريد ليتفرج عليهِ

وكان اذا خفض حاملي البريد صوتهم المعتاد ابداؤهُ اعلاناً بوصول البريد او مرورهُ تلطفاً او احتراماً للخليفة ينذرهم بالعقاب حتّى قال لهم ذات مرّة ان خفضتم صوتكم مرّة أخرى خفضت راتبكم. وكان يقول متفاخراً ان صوت بشرى البريد لاذني الذ من الكرى لعيني

وكان المنبه يطوف عند الرومانيين حاملاً جرساً يطنهُ في كل نقط المدينة المهمة وحينما يجتمع عليهِ الناس يعلنهم بأعلى صوتهِ عن وقت سفر البريد او وصولهِ

واما العرب فكانوا يكتفون بالاعلان على ابواب المساجد او المحلات العموميَّة مناداةً بواسطة احد الرجال

اما ادارات برد هذا الدور وعمالهِ ومعداتهِ التديمة فنذكر في فصولها الخصوصيَّة

الدور الثاني

الدور الثاني اي الجديد الذي هو من القرن الخامس عشر الى اواخر الثامن عشر قد اخذ البريد في طريق التقدم شيئاً فشيئاً وقد زيد فيهِ على اجراءات الدور الاول جملة امور مهمة فجعل للبريد مراكز ثانويَّة لا يبعد الواحد عن الآخر الاَّ مسافة اثني عشر ميلاً اي مسير ثلاث ساعات لاجل تغيير السعاة وخيل البريد المستعجل الذي يلزمهُ تتبع المسير بسرعة وتقريب مواعيد سفرهِ حتى ان بعض الحكومات كان من قوانينها ان كل رئيس مركب او قافلة بريَّة مضطرٌّ لان يأخذ معهُ كيس مراسلات الى الجهة الَّتي يذهب اليها او يمرُّ عليها ويسلمهُ الى المكتب المعد للمراسلات العموميَّة حال وصولهِ وذلك بموجب وصل قانوني يأخذهُ من المستلم كالوصل الذي اعطي منهُ بالاستلام

وتحسنت ادارات البريد ومعداتها وامتدت فروعها في داخليَّة البلاد واتصلت ببعض الجهات الخارجيَّة

وكانت كل حكومة تسلم وتستلم البريد الصادر منها واليها عند حدود البلاد بنوع بسيط

وفي داخليتها تجري عليهِ قوانينها الخصوصيَّة وتفرض على المراسلات رسوم جديدة تعرف بالرسوم الداخليَّة على ان هذا التساهل لم يكن الَّا في أُوربَّا

اما في غيرها فكان من اصعب الامور ارسال الخطابات الخصوصيَّة من داخليتها الى الجهات الخارجيَّة حتى كان المراسل يضطر ان يترقب فرصة وجود احد المسافرين برًّا او بحرًا ليكلفهُ ايصال رسالتهِ وقلما كانت تصل الى صاحبها

وقد سنَّ للبريد بعض قوانينُ وتعريفات موافقة لكل من انواع المراسلات ورتبت لهُ مواعيد قانونيَّة للسفر والوصول

اما معدل سير البريد بواسطة الخيالة والسعاة الَّذين يتغيرون في مراكز قريبة فكان ١٢٠ ميلاً انكليزيًّا في كل ٢٤ ساعة

وكانت كل المراسلات تجعل ضمن اكياس من الجلد وتحمل على ظهور الدواب ثم تقطر الدواب بعضها ببعض ويركب رجلٌ على كل دابة حاملة ويسير البريد برئاسة قائد خبير

اما السعاة الَّذين ينقلون البريد الى الجهات القريبة فمنهم من كان يحمل المراسلات ضمن كيس او جراب من الجلد معلق باحدى كتفيهِ او مسترسل بعلاقة الى جانبهِ الآخر على شكل جعبة النقود الصغيرة. ومنهم من كانوا يحملون جعبًا مربعة على ظهورهم كالصينيين ويربطونها باكتافهم على شكل حقيبة العساكر

وكان بعضهم يحمل اجراساً كما كان جارياً في الدور الاول واذا كانت الاستعدادات قليلة بالنسبة الى هذا العصر فكانت المواعيد غير ثابتة وعلل تأخير البريد عن مواعيدهِ كثيرة ولا سيما في فصول الشتاء واوقات تغير الطقس ولذلك كان المسافرون عند قربهم الى مركز يهتفون بأعلى صوتهم بريد او بوستة ويكررون ذلك مراراً حتى يصلوا الى المركز

وكان بعضهم يعتاض عند ذلك بنفخ الصور (البوري) وكانوا يفعلون ذلك عند دخولهم لينبهوا الاهالي الى وصول البريد ويفتحوا لهُ طريق لكي لا يتأخر في سيرهِ (**)

اما قبول المراسلات الصادرة وتوزيع الواردة فكان بنوع بسيط جداً وذلك انهُ عند ارسال الخطاب كان صاحبهُ يأتي بنفسهِ ويسلم الى احد عمال البريد مع اجرتهِ ويذهب في طريقهِ اذ لم يكن حينئذٍ طوابع تلصق على المراسلات ولا صناديق توضع بها

وكان احد العمال يأتي عند ورود البريد ويفتح اكياس المراسلات ويأخذ منها شيئاً فشيئاً ويتلو عنوانها على الحاضرين بأعلى صوتهِ ثم يعيد تلاوتها فمن كان حاضراً اخذ ما يخصهُ والذي يبقى بعد ذلك يوضع ضمن سل او غيره ويترك في محل البريد منفرداً او بجانب احد الخدماء او المسافرين وكل من حضر يبحث في المراسلات ويقلبها كالبضائع والسلع

وهكذا يأخذ كل انسان من الخطابات بيدهِ ما يكون لهُ او لمعارفهِ وربما اخذ ما لا يخصهُ جهلاً او تجاهلاً

(**) اما الآن فقد اعتيض عن ذلك بتعليق اجراس باعناق الخيل وفي بعض المدن الكثيرة الازدحام يتقدم البريد خيالة ينبهون الناس الى اخلاء الطريق لهُ

ولم يكن لتخليص المراسلات قاعدة فكان ذلك تارة قبل تصديرها وتارة عند ورودها واحياناً يؤخذ جانب منها مقدماً والباقي عند تسليمه

وكان معظم هذه الامور موجوداً في الدور الاول ويوجد الآن ما يماثلها في بعض الجهات من داخلية بلاد الشرق التي لم يعمها الاصلاح ولم تمتد بها الطرق الحديدية والمركبات

وكانت ادارات اشغال البريد ومنافعها قاصرة على العواصم والمدن الشهيرة فكان البريد يمر على باقي البلاد مرور النسيم فيجوبها ليلاً ونهاراً وتقدم لهُ الرجال للمحافظة والدواب للنقل بدون ان تنتفع منهُ بشيء من اسباب التراسل

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

وكانت بعض دواب البريد ومركباته تقبل ايضاً نقل الاشخاص المسافرين وذلك بقصد انتفاع مصلحة البريد بالاجرة والتساهل للعموم

وكان الناس حينئذٍ يعمدون الى استعمال الورق الخفيف الرقيق المعروف بورق البوسطة حباً بالاقتصاد ولايزال البعض يستعملونهُ لهذه الغاية الآن وقلما كانوا يغلفون الرسائل خوفاً من ثقلها

الدور الثالث

يبتدئ الدور الثالث ببداءة القرن التاسع عشر اي القرن الحالي وهو ازهى ادوار البريد لما تمَّ فيهِ من النظام والترتيب. واهتمام كل مصلحة بضبط بريدها لكي لا تكون سبباً لتأخير بريد سواها فتوقع خللاً بالمواصلات

ولذلك ترى رؤساء السفن البريدية ومسفري البرد البرية يتجشمون

اهوال تقلبات الطقس لاطراد سير البريد ويبذلون ما في وسعهم للوصول في المواعيد المقرّرة وكذلك رؤساء الادارات يصرفون منتهى جهدهم لتحكيم اوقات السفير فترى المواصلات جارية بين كل جهة وأُخرى من داخليّة البلاد او خارجيتها على جملة طرق تتغير من وقت الى آخر

فمنها ما يتغير طريقها كل اسبوع او نصفهِ او يوميًّا اوغير ذلك وربما دعا الحال الى تخطي البريد جملة بلاد برًّا وبحرًا اكتسابًا للوقت هذا مع مراعاة جغرافيّة البلاد وطبيعتها وعلوّسها (***) بدقة لكي لا يبدل الكسب من الوقت بالخسارة

وقد جعل لكل بلاد خريطة خصوصيّة (*) لطرق البريد يبين بها جميع

(***) في البلاد الكثيرة الجليد والثلج عند تعسر سفر البريد يتخذ بدل الخيل زحافات خفيفة تشبه النوارج تجرها ثيران او غيرها من الحيوانات الموافقة هذا اذا كانت الارض مغطاة بالجليد والاّ اذا كانت مغطاة بالثلج فينقل البريد على مركبات خفيفة عريضة العجلات يجرها رجال واذا تعسر النقل ايضًا بهذه الطريقة فيحمل على ظهور الرجال الاشداء ولذلك يلاقي مسفرو بريد تلك الجهات اعظم الاهوال حتّى يضطروا الى التردي بثياب خصوصيّة من الفراء وينتعلون احذية ذات نعال تبلغ نحو متر طولاً ونصف مترعرضًا لكي لا تغرق اقدامهم في الثلج ويضعون على اعينهم عينيات ملونة لكي لا يبهر بياض الثلج ابصارهم

وغالبًا لا يكون سفرهم الاّ جماعات متسلحة احتراسًا من الوحوش الكثيرة في تلك النواحي واكثر هذه الامور متبع في بلاد روسيا وقيل ان اهالي بعض الجهات الباردة في اميركا يتخذون مركبات وزحافات خفيفة تسير على الجليد لنقل البريد وعند موافقة الرياح لجهة سيرها ينصب لها شراع كالسفن فتسير بكل سرعة . غير اننا لم نعثر على ما يؤيد ذلك من مصدر رسمي

(*) ومثل هذه الخرط قد وجد في رومية ضمن انتيكخانتها منها ما هو مرسوم للبريد على زمن الرومانيين ومنها ما رسم في القرن السابع عشر

خطوطهِ ومحطاتهِ ومكاتبهِ والمسافات وغير ذلك

وهي تفيد ايضاً المسافرين معرفة مسافات الطرق وموافقة وسائط النقل ثم ان بواسطة عقد المعاهدات البريديَّة تأتى تسهيل المواصلات ففتحت للبريد كل البلدان اقرب الطرق واسهلها وخصص لهُ سفن بخاريَّة (****) فضلاً عن القطارات البريَّة التي تسير فى خطوط قانونيَّة ومواعيد معلومة

ومن اهم خطوط البريد واشهرها طريق برندزى فانهُ ساعد جدًّا على تقريب المسافات في نقل البريد العمومي بين اوربَّا والشرق فهو يتصل بحرًا بالسفن البخاريَّة القانونيَّة وبرًّا بالسكك الحديديَّة المصريَّة والسكك الايطاليَّة على الساحل الشرقي من ايطاليا الشماليَّة المتصلة بجميع سكك حديد قارة اوربَّا ومركزهُ العمومي في فرضة برندزي من ايطاليا وقد سمي بها بريد جميع الخطوط التي تمر عليهِ نسبة الى مرساهُ وتوزيعهِ على خطوطهِ

(****) اشهر سفن البريد القانونيَّة هي الانكليزيَّة ثم الفرنسويَّة والنمسويَّة والروسيَّة والمصريَّة والايتاليَّة واهمها الاوليان اي الانكليزيَّة (وهي المعروفة بالشرقيَّة) والفرنسويَّة (وهي المعروفة بالمسيجري مارتيم) وقد نشأ من هذه السفن في سير خلال سيرها فائدة عظيمة لبرد الشرق فكان لها فضل في التساهل بالمواصلات في داخليَّة البلاد وخارجيتها مساعدة في سرعة تقدم نظام البريد حيث صارت تنقله الى كل الموانى وكان وكلاء السفن يقومون بأموريَّة اعمال البريد فيتبلون الصادر منهُ وتوزيع الوارد وغير ذلك على نسق نظام بريد مالكها فجعلوا بذلك بابًا للمناظرات والتسابق بالنظام في اشغال البريد حتَّى ان اغلب وكلاء السفن في الاساكل الشرقيَّة خصصت لاشغال البريد اقلامًا ومكاتب خصوصيَّة في نفس الاساكل وبعضها انشأ مكاتب خصوصيَّة في داخليَّة البلاد على ان قوانين المعاهدة البريديَّة ابطلت ذلك وساعدت على قطعهِ انتظام البريد في بلاد الشرق كما سيأتي ذلك في الكلام عن بريد الدولة العليَّة ومصر في محلهِ

وهذه الاهمية ناتجة عن تقريب المسافات فان السفن البخارية التي تحمل البريد بين برندزي والاسكندرية متصلة بالسفن القانونية المختصة بشركة الوابورات الشرقية والايطالية

فيمكن والحالة هذه وضع مراسلات الهند وسائر الشرق مثلاً في بريد لندره بعد سفر مراكب الشركة من انكلترا بعدة ايام ومع ذلك تدركها في الاسكندرية وبالعكس

وقد زادت اهمية هذا الخط من وقت اتحاد البريد العام حيث تقرر به مرور جميع المراسلات على هذا الطريق بدون استثناء بعد ان كان لمراسلات هذا الطريق قوانين وفئات مخصوصة تزيد عن فئات الطرق الاخرى ولم يبق الآن هذا التفاوت الاَّ في اجر الرزم الصغيرة المعروفة بطرود البوستة

ولعظم اهمية بريد هذا الخط قد احرز شهرة فائقة في الافاق وصارت جميع البرد تحكم سفرها ووصولها من كل الجهات واليها بموافقة مواعيده التي مع ضبطها الدائم تتبادل عنها التلغرافات الرسمية بين جميع البلدان التي يمرُّ عليها برًّا او بحرًا لزيادة الدقة في الاوقات التي يقوم ويصل بها وللقيام بالاستعدادات المقتضية لهُ ولذلك قد خصص لبريده احسن الوابورات البرية والبحرية اتقاناً وسرعة وتعين لسيرها اوقات معلومة لا تتجاوزها الاَّ عند الضرورة الشديدة

ومعدل مسافة البريد عن هذا الطريق بين ثغر الاسكندرية وعواصم أوربا هو الآن كما يأتي. رومية اربعة ايام. برن خمسة ايام. بروكسل وبدبست وفينا خمسة ايام ونصف. برلين وباريس ستة ايام. كوبنهاج والهاوي ولندره

ولكسمبرج ستة ايام ونصف. كرستيانيا ومدريد وسنبطرسبرج واستوكهلم ثمانية ايام . ولزبونا تسعة ايام

اما مواعيدهُ العموميَّة فهي اسبوعيَّة

ومن الاعتناء الحاصل بتقريب مواعيد المواصلات بهذا الخط لايبعد ان يأتي يوم تصير فيهِ المواصلات بل جميع السفريَّات الخارجيَّة يوميَّة قياساً على التقدم الجاري بداخليَّة البلاد يوماً بعد يوم لان من اهم موضوع التفات مصالح البرد بهذا الوقت تقريب مواعيد المواصلات بواسطة تواتر السفريَّات في برهات متقاربة ولاهميَّة العلاقات بهذا الخط عند حصول اقل تأخير في مواعيدهِ يحصل اشتغال عظيم في البلاد ويصير من اهم شغل التلغرافات والجرائد والسنة العالم ويمر على ادارة مركز برندزي سنويًّا نحو الستين الفاً من الاكياس الكبيرة ملآنة بالمراسلات

وهذا العدد علاوة على الملايين الكثيرة من الطرود اي الرزم الصغيرة ولهذا الخط ادارة خصوصيَّة تقوم بتوزيع البرد الواردة اليها على جهاتها

ولها في اوقات العمل منظر يدهش الرائي فانهُ مع اتساع ارجائها وكثرة اقلامها تكون غاصة بالرؤساء والعمال مقبلين بكليتهم نحو الاشغال يدًا واحدة كانهم آلة بخاريَّة فيكونون واقفين افرادًا وازواجاً بين برد صادرة وواردة كانها جبال من المراسلات المتنوعة بين محزومة ومنفردة فمن رئيس يشير ومرؤوس يستشير وعامل يدير

فبعضهم يستلم وبعضهم يسلم وبعضهم يعد وبعضهم ينقض وبعضهم يفك وبعضهم يحزم وهولاء يكتبون واولئك يحسبون وهؤلاء يجمعون واولئك

يراجعون وهذا يلاحظ وذاك يحافظ وآخر يزن وهذا يفرز المراسلات وذاك يجملها وآخر يفرغ الاكياس وهذا يقلبها وذاك يملأها وآخر يربطها وهذا يختمها وذاك ينقلها وآخر يحملها وهذا يستفها وذاك يقرع جرس حلول الوقت وهذا يحض على الاسراع وذاك يتهيأ للسفر ومن هنا سائقة المركبات يستعدون للنقل والمسير منتظرين الامر بصوت النفير ومن هناك البابورات تضج بالصفير كأنهُ اليوم الاخير على ان القلم عاجز عن البيان وليس السمع كالعيان

ومع كل هذه الحركة الجسيمة وهذا العمل العظيم لم يقع ادنى غلط يذكر بل اجميعها جارية بترتيب غريب وضبط عجيب

وبلي اشغال مركز برندزي بالاهمية ووفرة التبادل اشغال مراكز النقط المتوسطة في مرور المراسلات بين الفروع في داخليّة البلاد ثم العواصم والمدن الشهيرة الّتي تراسل جميع الفروع الداخليّة واكثر الجهات الخارجيّة رأساً وان في هذه الاعمال العظيمة مايدهش الرائي حتى ان كل من تأمل في حركة كل قلم من اقلامها وكيفيّة قيامهِ باختصاصهِ ومواصلتهِ للآخر يتخيل لهُ كأنهُ في ادارة احد المعامل العظيمة وبين الآلات الميكانيكيّة الّتي يقوم كل جزءٍ منها بعملهِ بواسطة الحركة المستمرة النسق والانتظام ويحكم بان ليس بعد البريد حركة اشغال واسعة الاعمال ومستمرة النظام وكل هذه المواصلات بين الاقلام والعمال لها قوانين وروابط محكمة لا تقبل غشاً او اشتباهاً ولها مطبوعات ودفاتر خصوصيّة وهي غاية في الضبط . ولا ترسل ارساليّة من جهة لاخرى بدون اتمام اجراءاتها التحفظيّة مثل تحكيم الاختام الخصوصيّة على اقفالها وارفاقها بالاوراق اللازمة ببيان محتوياتها الى غير ذلك من التحفظات

القويّة الّتي لم يعد بعدها خوف من سقوط اقل رسالة. وليست اشغال البريد الحسابيّة دون اشغالهِ الاداريّة باتساع العمل وتنوعهِ وضبطهِ وتفرعهِ ولذا تشابه قواعدها في وضعها اشغال المصالح الميريّة من جهة والبنوك التجاريّة من أُخرى نظرًا لما للبريد من الحسابات العموميّة والفرعيّة المتنوعة الاقلام الّتي توجبها علاقات التبادلات البريديّة بين جميع فروع البريد الداخليّة والخارجيّة وتطبيقها بعضها على بعض مع اختلاف قواعد حسابات كل مملكة وتنوع عملتها

اما باقي انواع وسائط نقل البرد الّتي زادت بهذا الدور عن الذي قبلهُ فسنعلم من ممدات البريد وعمالهِ بالفصول الآتية

اما توزيع البريد الجاري الآن في ادارتهِ فهو على انواع شتى منها التوزيع الاشتراكي وهو على نوعين

النوع الاول يكون بواسطة وضع المراسلات في صناديق خصوصيّة

والثاني يكون بواسطة سعاة خصوصيين يوصلون المراسلات الى اماكنها والمشتركين بالتوزيع الاشتراكي بعض امتيازات نظير ما يدفعون من الرسوم وذلك مثل صرف مراسلاتهم غير الخالصة الاجرة وتأجيل دفع رسومها الى آخر الشهر بمقتضى كشف يقدم عنها من ادارة البريد وامكانهم استلام المراسلات المسجلة بواسطة امضاء الايصالات الّتي تقدم اليهم بغير ان يتكلفوا الى الحضور لاستلامها وتمكنهم من اخذ المراسلات من هذه الصناديق في اوقات اوسع من المواعيد المقررة لعملات التوزيع العمومي وما اشبه ذلك

ومنها التوزيع العمومي وهو ما يتسلم من المراسلات بيد اربابها او

مندوبيهم من نفس قلم توزيع البريد (***)

وفي بعض البلاد المنظمة قانون توزيع المراسلات في نفس محلات ارباحها عموميًّا والمنوطون بذلك يقومون به بكل سهولة وضبط بواسطة انتظام عنوانات الازقة ونمر المحلات

ولذلك يكون مؤشرًا على غالب عنوانات المراسلات اسم الزقاق ونمرة المحل الاَّ ما كان منها برسم اشخاص من الاغراب او المجهول محل اقامتهم على ان مثل هذه المراسلات يستعين السعاة على معرفة ارباحها ايضاً بارشاد رجال البوليس

ومن قوانين بعض البلاد ايضاً توصيل قيم الحوالات الى محل المرسل اليه بواسطة الموزعين الخصوصيين

وفي بعض مصالح البريد يوجد نوع آخر من التوزيع الخصوصي يسمى

(***) محلات توزيع المراسلات العموميَّة مكونة من خانات خصوصيَّة مرتبة على الاحرف الهجائيَّة وفي الادارات الكثيرة العمل قد يكون جملة محلات للتوزيع كل منها مختص ببضعة احرف وكل حرف منها له جملة خانات فتترتب بها المراسلات بحسب الحروف التالية للحروف الاولى من اللقب وبهذه الواسطة يتيسر التوزيع بكل سرعة وضبط واشغال التوزيع وفرز المراسلات في المكاتب الكبيرة تعد من اهم الاعمال فلا يقوم بها الاَّ المتمرنون عليها وهم اقل العمال تنقلاً لداعي ما يلزمهم من الوقت الكافي في التمرين وحفظ الاسماء ولذلك يبرعون في تأدية هذه الاعمال فتراهم مع سرعة العمل الفائقة يرمقون الرسائل بكل دقة ولا تنفذ من ايديهم اي رسالة كانت مغلوطة او غير مستوفاة الرسم

ومن عظم استدراكهم بالعمل تسابق ايديهم لحظات ابصارهم حتى يوجد كثير منهم لا ينظر الى عنوان الخانة اللازم وضع المراسلات بها بسبب حفظهم نقطة كل واحدة منها في فكره حتى يخيل للرائي انهم يلقون المراسلات كيف جاءت حالة كونها ملقاة في محلها كانها موضوعة بتأن زائد

بالاكسبريس اي المخصوص وبالمستعجل ايضاً وهو ما يقوم بتوصيل الرسالة ساعياً او خيّالاً وقت ورود الرسالة

وذلك في نظير اجرة خصوصيّة تدفع عنها مقدماً بواسطة لصق طوابع مخصوصة يعلم منها انهُ يجب ارسالها مع رسول خاص وهذه الطريقة عظيمة الاهمية والفائدة تثمنى كل البلاد ان تحصل عليها

نعم ان الرسائل التلغرافيّة اسرع منها ولكن لا تغني عنها لانها غير وافية بالمقصود لغلاء اجرتها التي لا يقدر على دفعها كل انسان ولانهُ ليس كل كلام يصح افشاؤهُ ونقلهُ مكشوفاً على لسان البرق

ومن الاعمال المفيدة التي دخلت اشغال البريد في هذا الدور اي القرن الحالي اشغال النقود والمراسلات المضمونة والمسجلة الاّ ان ذلك قد عرّض البريد في اول الامر لاخطار قطّاع الطرق حتى اضطرت اكثر الحكومات لان ترفق البريد في سفره بقوة عسكريّة وبعضها اجبرت البلاد التي يمر عليها البريد بان ترفقهُ بعدد كافٍ من الخيّالة للمحافظة عليهِ بحيث يكونون مسئولين عنهُ حتى يسلموهُ الى حافظي البلدان التالية وهذه القوانين مرعيّة الاجراءات في جميع البلاد التي لم تصلها الطرق الحديديّة حتى الآن ولم ينتشر فيها الامان

وقيل في اصل امتداد اشغال البريد لنقل النقود هو ان بعض رؤساء البريد في اوربا لاحظ ان كثيرين من اهالي البلاد التي يمر عليها البريد يكلفون المسفرين والسعاة في ايصال بعض الدراهم الى عالمهم او اقاربهم في جهات أُخرى فكان المسفرون والسعاة يتحصلون من ذلك على ارباح وافرة اما الحوالات فقد ادخلت في اشغال البريد اقتداء بالمحلات التجاريّة التي

كانت جاريةً عندها من قديم الزمن

ولم تزل نامية فيها على ان امنيَّة مصالح البريد واستعداداتها واتساع فروعها جلبت ميل العالم الى حوالات البريد اكثر من الحوالات التجاريَّة

واستدل من بعض اوراق قديمة لمصالح البرد على ان اشغال نقل النقود ابتدأت قبل اشغال الحوالات ثم تلا ذلك اشغال المراسلات المضمونة اي المسوكرة والمسجلة

وآخر ما أُدخل في اشغال البريد نقل الطرود اي الرزم الصغيرة ثم تحصيل قيم الاوراق لذمة المداينين ثم قبول قيم الاشتراكات بالجرائد

ولكن هذه الاشغال الاخيرة لم تعم جميع مصالح البرد على ان المأمول ادخالها ضمن شروط المعاهدات البريديَّة في اول مؤتمر يعقد ولكل من هذه الاشغال في هذا الوقت اقلام خصوصيَّة ذات اهمية عظيمة في اعمال البريد

ومما يتبع اشغال النقود الصناديق الاقتصاديَّة اي التوفيريَّة وقد ادخلها اغلب مصالح البرد الاوربيَّة في اشغالها فمنهم من جعلها تابعة لمصالح البرد خاصة ومنها ما هو بنوع التوسط فقط ما بين الافراد والبنوكة الاقتصاديَّة حيث لم يكن لها فروع في جميع البلاد كالبريد وذلك تسهيلاً لجميع سكان البلدان والقرى

ولهذه الصناديق شهرة في فوائدها وسهولة قوانينها ومعاملاتها تغني عن شرحها هنا

ولكل من مصالح البرد اصطلاحات مختلفة عن الاخرى تراعى بها مع المصلحة العامة مصلحتها الخاصة كالاقتصاد في طرق النقل (**) وغيرها من

ان بعض المصالح تكل نقل البريد الى شركات برّيَّة او بحريَّة بطريق المقاولة عند

الاجراءات بحسب حالة البلاد على انها لا تختلف بعضها عن بعض في الامور الجوهرية التي غايتها الضبط والسرعة فمنها ما هي مصطلحة على جعل رسوم المراسلات متفاوتة في داخلية البلاد بحسب بعد المسافات. ومنها ما هي جاعلة الاجر عمومية اي متساوية الرسم في جميع الجهات وفي غالب الممالك ترى امتيازًا خصوصيًا في أجر مراسلات العساكر وخصوصاً في اوقات الحرب ومن البريد ما جعل للجرائد تسهيلات خصوصية بواسطة اشتراكات تدفعها للبريد مقدماً عن مدة معلومة وذلك بدلاً عن الطوابع التي تلصق على النسخ بقيمة رسوم التصدير اقتصادًا للوقت بين صرف الطوابع ولصقها وابطالها بالختم. ومن البرد ايضاً ما هو مصطلح على وزن المراسلات على حساب الدرهم او الاوقية وبعضهم على وزن آخر يسمونهُ درام (تحريف درهم) وهو قيمة نصف درهم او جرام ونصف تقريباً

ولكن القاعدة العمومية بين مصالح البرد هو وزن الجرام وهو ثلث درهم تقريباً اما ما يراهُ البعض من وجوب تدريج الرسوم بحسب بعد المسافات وكسور مقنن الوزن الحالي (اي قسم مقنن وزن الرسائل الى درجات صغيرة) فهو غلط بيّن لان مثل ذلك ما يجلب التعب والغلط للجمهور ويأتي بزيادة العمل على البريد فيعيق الرسائل ويمنعها من الاسراع فضلاً عمّا يتفق من ضرورة ارجاعها احيانًا الى جملة جهات غير التي كانت مرسلة اليها تبعاً

ما ترى ان في ذلك توفيرًا عليها ولا يحصل تغيير او تأخير المواصلات وهذه الطريقة قد اتخذت من القديم في كثير من جهات اوربا خصوصاً في زمن وجود شركات البرد الخصوصية المشروحة في القسم الآتي

لتنقلات الذين ترسل اليهم وبما ان من لوازم البريد السرعة فهو دائماً يتخذ في اشغاله ابسط الطرق واسهلها

وقد يوجد بعض حكومات توجب قوانين بريدها التخليص على المراسلات مقدماً على ان قوانين الاتحاد العام قد اوجبت اقتداء اكثر هذه البرد بغيرها والتساهل بتوسيع القوانين للتبادل بينها ولمواصلات العالم . والذي بقي منها مصرًّا على هذه القوانين الضيقة قد حصرها في المراسلات الداخلية فقط

ومن اصطلاحات بعض الادارات قبل ان ترتد المراسلات المهملة اي التي لا يتيسر تسليمها او تصديرها انها تعرضها للجمهور من وراء زجاج احد شبابيك محل البريد او تحرّر صورة عنوانها على ورقة وتعلق خارج المحل ليعرف منها كل ما يخصهُ منها

اما مراسلات السفراء والقناصل فتكون معاملتها في البلاد غالباً بواسطة اشتراك سنوي على انهُ يراعي فيهِ اتصاليات الحكومات والاصول المتبادلة مع سفارة البلاد اي كما تعامل مراسلات سفير البلاد فالبلاد تعامل مراسلات السفارة او القنصلية التي لديها

اما مراسلات دواوين الحكومة فترسل غالباً مجاناً وبعض البرد تحاسب على اجرتها شهرياً او سنوياً بواسطة الخصم بالحسابات فقط او قبض القيمة نقداً وذلك بحسب مقتضيات الاحوال

على انهُ لما كانت الايرادات والمصروفات عائدة الى اصل واحد وهو مالية الحكومة العمومية فالخصم او القبض نقداً على حد سواء وانما المقصود

من ذلك هو اولاً معرفة ايراد كل مصلحة وثانياً ضبط النتائج والاحصاآت العمومية ومن المصالح ما هي جاعلة طوابع خصوصية للمراسلات المبرية تميزًا لها عن غيرها

وكما ان البريد العمومي يدخل في زمن الحروبات تحت الاحكام العسكرية كذلك يكون تحت الاحكام الصحية في زمن الامراض الوبائية والمعدية حيث يلزمهُ ان يكون تحت الطرق الواقية والمانعة لاتصال العدوى من بلدةٍ لاخرى بحسب اوامر المجالس الصحية

واهم المشهور من ذلك الى الآن والمتبع اجراؤهُ وقت اللزوم في ادارات البرد هو خرق المراسلات بآلة حادّة ووضعها بوعاء واسع المسام وتبخيرها جيدًا بتعريضها لدخان كبريت العامود اي الأصفر والمبيعة وما يماثل ذلك من المواد المنقية المطهرة اما الرزم مثل ربطات المطبوعات الكبيرة الحجم والطرود التي لا يمكن تطهيرها بواسطة التبخير فتبقى بمركز الكورنتينا المدة المحددة لمثلها قانونيًا من المجلس الصحي واما صر النقود فيكتفي الحال بتغطيسهُ بالخل او وسائل أُخر ذات فاعلية لنقاوة القماش الشامل للنقود و يمنع نقل النباتات المصابات بعاهات من بلادها لغيرها وكذلك كلما يضر بالصحة و يمنع ايضاً سياسيًا المطبوعات المخلة بالنظام العمومي والآداب وسياسة البلاد ويتخذ الطرق السياسية في مراسلات المعتدين الذين يتخذون البريد واسطة لابلاغ تهديداتهم السيئة للغير لأمر يتعنونهُ ظلماً وعدواناً

وكذلك الذين يتجرأون على طلب مراسلات غيرهم من البريد على غير علم اربابها بقصد الاختلاس

والبريد دون جميع المصالح آخذ في اتساع دائم لا يخشى على بدرهِ نقصان ولا لشمسهِ اقول وحسبنا ما وجه اليهِ في هذا العصر من الاعتناء الزائد باقامة المعرض الذي خصص لهُ في هذا العام في مدينة امستردام عاصمة بلاد هولندا ما يدل على انهُ وصل لدرجة فائقة في الاهمية عند الممالك العظيمة وانهُ سيكون لهُ في جميع العالم مستقبل عظيم لا يقدر

وهذا المعرض مختص بجميع انواع الطوابع والكساوي والعلامات البريديَّة القديمة والحديثة وجعل لهُ علامة مكافئة لكل من عرض اثرًا من ذلك

وقد تنبهت لذلك باقي الدول فصارت تخصص لهُ بابًا في معارضها العموميَّة واول من ابتدأ بذلك دولة فرنسا في المعرض العام الحالي وكذلك ترتيبات البريد بعد ان كانت من ابسط الاشغال اصبحت من ادقها عملاً واكثرها اتساعًا وتشعبًا حتى اشتهر بذلك اكثر من غيرهِ عند جميع الواقفين على الاحوال من ذلك ما قالتهُ جريدة المُقَطَّم ليس بين الاعمال العموميَّة ما هو اوسع نطاقًا واكثر نظامًا من البريد

فوجود النظام التام بالبريد مع اتساع نطاقهِ دليل كاف على بذل العنايَة العظيمة والتدبير الفائق اللذين لولاهما لم يبلغ هذه الدرجة وان قسنا حاضرهُ بماضيهِ نجزم بأن المستقبل سيرينا من البريد مالم يكن في الحسبان فان ما ظهر امر في مبادئهِ فائدة للعموم الأَوادخل في اشغالهِ

ومن الجدول الآتي يعلم عدد المراسلات الصادرة في سنة ١٨٨٢ من مصالح بريد الممالك المبينة اسماؤها بهِ حسب الاحصاآت الرسميَّة وذلك برسم داخليَّة البلاد وخارجيتها

اسماء الممالك	طرود بوسطة اجبارزم صغيرة	مراسلات مسجلة اي بالتوصية	عينات بضايع	ملفات متنوعة من مطبوعات غير اعتيادية واوراق اشغال	ريطات جرائد من نسخ مجموعة ومتفرقة	تذاكر بوسطة عادية و بالرد	خطابات مسجلة وغير مسجلة الرسم
	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد
المانيا	٨٣١٥٤٣٦٠	٠١٤٢٥٦٥٣٠	٠٩١٩٧٤٦٠	١٦٥٤٧٠٢٠٥	٤٦٧٧٢٠٧٠٠	١٧٤٦٤٦٠٤٠	٠٦١٩٣٠٩٩٠٨
النمسا	١٩٧٦٠٣٠٠	٠٢١٤٣٧٨٠٠	٠٥٥١٣٠٠	٠٢٩٥٢٣٩٠٠	٠٩٤٥٧٣٤٠٠	٠٤٧٩٣٩٩٠٠	٠٢٧١٨٣٣٥٠٠
البحر	٠٦٤٣٠٢٢٤	٠٥٥٤٢٧٩٨	٠٤٠٣٧٨٣٠	٠١٠٠٢٦٦٥٤	٠٤١٢١٠٥١١	٠١٦٦٣١٣٧٦	٠٧١٢٨١١٧٢
البلجيك	.....	٠١٥٢٦٦٨٣	٠٢١٨٠٠٠٠	٠٤٤٤١٠٠٠	٠٨٥٧٠٨٠٠٠	٠٢١٣٤٧٢١٠	٠٠٨١٩٤٧٥٦٨
اسبانيا	.....	٠١٣٩٧٦١٤	٠٠٣٦٧٩٥٣	٠١٣٨٠٠١٢	٠٤٠٩٦٠٧٩٠	٠٠٩٣٥٢٧٤٠	٠٠٩٣٩٦٢٢٨٠
اميركا	.....	٠٠٩٦٦٩٥٤٠	٠٠٨٤٣٦٨٢	٠٠٢١٩٠٣٠٣	١٥٤٦٧١٠٠٠	٠٣٠٤٣٨٣٠٨	٠٤٩٧٨١٠٨٦٩
فرانسا	٠٩٩٨٦٩٨٤	٠٨٥١٣٠٩٤	٣٣٩١٠٩١١	٢١٨٥٣٤٨٩٨٩	٢١٨٥٣٤٥٤٧	٠٢٢١٤٩٨٨٠	٠٥٧٩٥٧٠٩١٨
انكلترا	.....	٠١١٢٦٤٩٢٦	٢٠٥٢٧٤١٠	٢٨٣٠٦٤٠٠	١٤٠٦٠٣٦٠٠	١٤٤٠١٦٣٠٠	١٣٨٠٦٣٦٣٠٠
البرتغال	.....	٠٠١٦٣٤٧٥	٠٠٠١٣٤٩٠	٠٠٠٠١٦٨٥٤	٠١٣٣٥٧٧٥	٠٠٠٩٧٠٨٣٥	٠٠٠٤١٠٨٨٩١
ايطاليا	٠٢٧٣٠٧٧	٠٨١٤١٩٤٥	٠٤١٣٦٥٩١	٠٥٢٧٨٩١٣٨	١٠٨٤١٣٤١٧	٠٤٤٠٧٩٧٣٤	٠١٧٦٤٥٤٣١٦
اليابان	.....	٠١٩٦٥٧١٥	٠٠٤١٤٢٧٣	٠٠٠١٩١٤٦١	٠٢١٠٩٠١٠٦	٠٢٣٠٤٣١٢١	٠٠٤٨٣٠٨٤٦٥
العجم	٠٠٠٧١٣٠٠	٠٠٠١١١٤٧٠	٠٠٠٠٢١٨٠	٠٠٠٠١٣٦٣٠	٠٠٠٠٨١٠٠	٠٠٠٠١٠٠٠	٠٠٠١٠٤١٠٤٠
البرتوغال	٠٠٠٩١٧٧٦	٠٠٠٢٤٧٩٠٦	٠٠٢٥٠٠٥١	٠٠١٩٣٠٠٤٤	٠٠٩٧٠٢٣٨٧	٠٠٠١٠٩٤٠٦	٠٠١٥٦٥٤٩٠٦
روسيا	٠٢٨٩٦٦٤٧	٠٨٦٤٣٦٤٦	١٠٢٠٥٩٧١٠	٠١٩٦١٤٨٣	٠٩٥٥٧١٣٢٠	٠٧٦٨١٣١٤	٠١٠٩٥٦٨٧١٦
سوء بسوة	٠٧٠٨٢١٣٩	٠١١٣٧٤٣٩	٠٠٧٦٥٢٨٣	٠١٧٠٠٠٠٠	٠٥٦٢٧٥٨٠٤	٠٠٩٦٣٥٧٨٨	٠٠٦٢١٩٢٧١٤
الهند الانكليزي	٠١٢١٤٣٠٥	٠٠٣٣٤٩٦٧٦	٠٠٠٨٤٧٥١	٠٠٢٣٦٨٩١٠	٠١٢٥٣٦٨٠٠	٠٢٥٣٥٨٨٧	٠١٣١١٩٤٢٤٣

وهذا بيان صادرات برد الممالك المبينة بعده الى داخليتها وخارجيتها في سنة ١٨٨٢ عن عدد وقيمة المخطابات المسوكرة اي المؤمن على قيمتها والحوالات المحوبة وعدد مكاتب البرد وعمالها وصناديق مراسلاتها وايراداتها ومصروفاتها

اسماء الممالك	مصروفات	ايرادات	عمال البرد من رؤساء ومستخدمين	صناديق المراسلات الموضوعة بالطرق وبالمكاتب	مكاتب البرد	حوالات بوستة		مخطابات مسوكرة اي مؤمن عليها	
	فرنك	فرنك	عدد	عدد	عدد	عدد الحوالات عدد	قيمة الحوالات فرنك	عدد المخطابات عدد	قيمة المخطابات فرنك
المانيا	١٨٠٢٢٣١٥٢	٢١٢١١١١٤١	٧١٦٢٨	٦١٦٦٥	١٢٥٤٨	٥١٦٠١٧٩٠	٢٨٠٢٥٩٣٩٣٨	٨٢٣٩٦٣٠	٠٩٧٦٩٤٢٧٠٤١
النمسا	٠٣٩٧١٥٩١٥	٠٤٧٨٧٦٦٣٠	١٤٧٨٣	٠٩٢٣٢	٠٤٠٧٣	٠٩٢٣٢٠٦٤	٠٨٢٤٢١١٣٠٨	٩٥٨١٧٠٠	٠٧٤٧٩٨٩٨٧٥٠
المجر	٠١٤٣٦٠٣٥٩	٠١٨٤٠٢٢٠٣	٠٥٧٠١	٠٤٠٨٩	٠٢٧٧٥	٠٤١١٢١٣٨	٠٢٣٨٤٩٩٧٠٥	٢٥٨١٨٥٢	٠٢١٩٢٢٩٤٢٩٣
البلجيك	٠٠٨٥٢٦٢٦٠	٠١٨٤٠٠٢٢٠	٠٤٦٧٩	٠٥٧٥٦	٠٠٨٧٤	٠٢٠١٤٥٧٩	٠١٢٠٧٨٩٢٤٥	٠٢٠٣٦٧٥	٠٠٢٥٤٢٥٨٧٧٢
اسبانيا	٠٠٧٥٢٢٩٢٦	٠١٤٩٠٢٦٢٨	٠٧١١٢	١٠٥٧٢	٠٢٦٥٥	٠٠٠٤٢٦٧٥	٠٠١١٠٦٤١٤٢	٠٠١٧٢١٧	٠١٧٧٦٥٩٣٨٩١
اميركا	٢١١٤٧٠٦٢٢	٣٢٠٥٧٠٨٩١	٦٥٧٧٧	٢٠٧٩٩	٤٦٢٢١	٠٧٧٩٢٣١٢	٠٦٢١٤٢٢٢٢٩	٠٠٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
فرنسا	١٢٢٤٥٦٨٢٢	١٥٤٢٥٢٦٠٠	٥٠٢٦٨	٥٤١٩٢	٠٦٢٢٤	١٦٦٩٤٧٥٢	٠٥٢٢٧٥٩١١١	٢٨٦٢٥٩٢	٠١٥٢٨٠٧٥٢٦٩
انكلترا	١١٢٦٢٤٩٥٠	١٨٢٥٢٤٠٠٠	٨٥٦٨٩	٣٠١٠٠	١٥٤٠٦	١٤٤٩٠٢٦٢	٠٦٢٥١٨٢٩٢٩	٠٠٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
اليونان	٠٠٠٥٦٥٨٦١	٠٠٠٩٠٤٥٢٢	٠٠٢٩٩	٠٠٤٤٩	٠٠٣١٢	٠٠٠٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
ايطاليا	٠٢٧٢٩٤٦٢	٠٢٢٦٦٠٨٨٦	١٦٤٣٢	١٢١٣٥	٠٣٥٤٠	٠٤١٠٢٢٥٢	٠١٢٢٦٢٧٨٦٧	٠٠١٨٢٢٩	٠٠٠١٥٢٧٠٧١٢
اليابان	٠٠٩٧٤٢٦١٢	٠٠٩٠٧٧٩٨٧	١٤٤٨٤	١٧٠٠٢	٠٥٥٢١	٠٠٦٢١٢٩٨	٠٠٠٩٢٢٩٨٩٢	٠٠٠١٥٤٨	٠٠٠٠١٧٢٠٥٤١
العجم	٠٠٠٢٧٤٥٧٠	٠٠٠٠٣٧٣٠٠٠	٠٠٣١٠	٠٠٠٠	٠٠٠٦٣	٠٠٠٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
البرتوغال	٠٠٣٢٥٩٩٥٥	٠٠٣٠١٨٨٦٨	٠٣٢١٠	٠٢٠٢٢	٠٠٩٩٠	٠٠١٦٢٠٨٥	٠٠١٢٢١٢٦٦١	٠٠٠٠٣١١	٠٠٠٠٠٢٧١٢٧٨
روسيا	٠٦٧٧٦٤٣٢٠	٠٦٠٩٤١٤٦٨	١٥٥٥٧	٠٨٣٢٧	٠٤٥٨٦	٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٩٧٨٣٦٧٩	١٠٩٢٥٢٠٢٥٩٩
سويسرة	٠١٥٤٩٨٤٣٢	٠١٧١٠٦٤٣٥	٠٥٨٠٨	٠٥٦١٠	٠٢٨٨٨	٠٢٠٥٢٥٤٤	٠٢٣٢٤٢٧١٨٦	٠٠٣٩٣٢٤	٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
الهندالانكليزي	٢٢٥٨٣٢٥٦	٠٢٢٧٤٦٠٢٤	٢٢٥٩٤	٢٢٥٩٤	٠٤٨١٩	٠٢١٨١٩١٨	٠١٤٥٩٩٥٠٦٤	٠٠٨٨٣٨٢	٠٠٠٤٤٩٢٤٥٢٠

اما بريد تركيا (الدولة العليَّة) فلم نعثر لهُ بين احصاءات سنة ١٨٨٢ الرسميَّة الأَعلى البيان الآتي

وهو انهُ يوجد في السلطنة السنيَّة سبعمائة مركز بريد ومركزان آخران يتولاها من المأمورين ٥٤٤ اما التباين القليل بين عدد المراكز ومأموريها فمسبب عن اختلاط ادارتي البوستة والتلغراف في الاماكن المشتملة على هاتين الادارتين معاً اما ادارة البوستة الداخليَّة فتحتوي على ٢١٥ محطة. وتستخدم من الخيل ١٦٠٠ ولقد ارسلت هذه الادارة من اول آذار سنة ١٨٨٢ الى اول آذار سنة ١٨٨٣ اي في خلال عام واحد ١٧٧٦٣٦٥ منقولاً بريديًّا (مكتوباً) عاديًّا و ١٤٥٣٤٠ مضموناً اي مسوكرًا و ٦٥٦٣٢٥ منقولاً رسميًّا فيكون جملة المنقول ٢٥٧٨٠٣٠ ثم ان ادارات البرد الدوليَّة العموميَّة ارسلت الى بلاد الاجانب ما ترى ٣٨٩٧٧٨ منقولاً بريديًّا عاديًّا و ٣٤٤٩٠ مضموناً اي مسوكرًا فيكون جملة المنقول الى ديار الاجانب على يد الادارة المشار اليها ٤٢٤٢٦٨ واما الذي ورد على يدها من ديار الاجانب الى السلطنة السنيَّة فهاك بيانهُ ٣١٠١٥٠ منقولاً عاديًّا و ٢٥٥٥٣ مضموناً اي مسوكرًا فيكون مجموع الوارد ٣٣٥٧٠٣ اما الدخل فبلغ ١٤٤٠١٤٧٠ غرشاً واما الخرج فبلغ ٧٨٥٣٤١٠ غروش فيكون الباقي اي الصافي ٦٥٤٨٠٦٠ غرشاً

هذا وقد استصوبنا بيان جميع الاحصاآت عن سنة ١٨٨٢ لكونها السنة المتوسطة بين سنتي ابتداء اتحاد البرد العام وتأليف هذا الكتاب على ان الزيادة في جميع انواع مراسلات الممالك مطردة السير كما يعلم من جداول احصاآت البريد المصري في الباب الثاني عن مدة السنوات العشر. وعماً

يستحق الذكر من ذلك الزيادة العظيمة التي ظهرت في مبادلة الطرود اي الرزم الصغيرة فقد جاء عنها ما يدل على انها صادفت رواجاً عظيماً لشدة احتياج العالم الى مبادلتها من ذلك ان الذي صدر منها عن يد بريد فرنسا في اول سنة تبادلت بها هذه الطرود اي سنة ١٨٨١ كان عددها ٤٠٠٠٠٠٠ فقط وفي سنة ١٨٨٨ بلغ عددها ٢٨ مليوناً فيكون معدل الزيادة سنوياً اربعة ملايين وكذلك قد صادفت تذاكر البوستة خصوصاً في اميركا فان ما صرف منها في سنة ١٨٨٨ بلغ ٤٠٠ مليون تذكرة قيل وصرفت من طوابع البريد ما زنتهُ ١٣ طناً

وقد جاء غير ما ذكر من المعدلات الخصوصيَّة منها ما قالتهُ بعض الجرائد عن بريد انكلترا مأخوذٌ عن ملحوظات احصائيَّة عملت مابين سنة ١٨٧٥ وسنة ١٨٧٧ ان الامة الانكليزيَّة اكثر الامم امانة وتمسكاً بمصلحة البريد لان كثيراً مايوصلهم هذا التسليم الى ان يكلفوا البريد نقل ماليس من خصائصهِ مثل طيور وحيوانات مذبوحة وحيَّة فينقلها البريد اضطراراً حيث يجدها معلقة امام ابواب البريد ونوافذهِ او امام صناديق المراسلات التي بالطرق وعنواناتها معلقة باعناقها وربما القوا في صناديق البريد ما يجدونهُ بالطريق من الامانات واللقطات لتيقنهم بان البريد آمن واسطة لتوصيلها لاربابها . الى ان قالت ان الامة الانجليزيَّة اكثرسهواً في عنواناتها المراسلات كما علم من معدل المكاتيب التي توجد ضمن صناديق البريد بدون عنوان او غير مستوفيته . قلت اذا لم يكن في ذلك مبالغة كان ناشئاً عن اهتمام الانجليز الزائد بانجاز اعمالهم بسرعة اكثر من غيرهم حتى صار ذلك طبيعة فيهم على انهُ في ذلك الزمان لم تكن الاحصاآت

العموميَّة وافية البيان وخصوصاً في بلاد الشرق حتى كان يتأكد ان الامة الانكليزيَّة الَّتي فاقت في السهو بالعنوانات او غيرها فاقها

ومَّما جاء مؤخرًا عن الامة الانجليزيَّة انها اكثر الامم تراسلاً في ايام الاعياد والمواسم الشهيرة من ذلك انهُ في ليلة عيد ميلاد سنة ١٨٨٧ (هذا العيد عند الانكليز اعظم الاعياد اعتبارًا) وصل الى بريد مدينة لوندره خمسة عشر مليوناً من المكاتيب وخمسة وستون الف طرد بوستة (رزم صغيرة) وقد استلزم لنقلها باسرها ثانين مركبة من مركبات السكة الحديد واضطرت مصلحة البريد ان توظف ثلاثة آلاف شخص زيادة عن المأمورين الموجودين حتى تيسر لها فرز المراسلات المذكورة وتوزيعها وانهُ بلغ عدد تذاكر المعايدة (كارت دي ڤزيت) يوم راس سنة ١٨٨٨ (٤١ مليون) وفي راس سنة ٨٨٩ (٤٢ مليون) ولا غرو ان مراسلات يوم من هذه الايام تفوق عددًا عن مراسلات بعض الممالك مدة سنة كاملة

وفي سنة ١٨٧٢ قد عدَّل بعضهم عدد المكاتيب التي تتبادل في العالم باربعة ملايين و٣٢٠ الفاً في اليوم فيكون ما يتبادل منها في الساعة ٣٦٠ الفاً على حساب اليوم ١٢ ساعة فقط وفي السنة مليارًا و٥٥٥ مليوناً و٢٠٠ الف مكتوب قال واذا فرضنا ان وزنها من معدل الوسط كان وزن ما يلزمها من الورق في السنة ٢٣ مليون كيلوغرام اي ١٧ مليوناً و٦٤٠ الف اقة انتهى

قلت وهذا التقدير بعيد عن الصحة فانهُ قليلٌ جدًّا بالنسبة للاحصاآت الرسميَّة لان مجمل عدد مكاتيب جميع الممالك المتحدة بالبريد مع مستعمراتها وملحقاتها قد بلغ في سنة ١٨٨٢ (٢٨٠٤٠٠٠٠٠) واذا فرضنا ان الزيادة الَّتي حصلت

بالمكاتيب في مدى السنوات العشراي بين سنة ١٨٧٢ التي وضع بها المعدل المذكور وبين سنة ١٨٨٢ التي اخذ عنها الاحصاء المرقوم تعادل عدد مكاتيب باقي البلاد التي لم تدخل ضمن اتحاد البريد العام والتي لم تحصَ مراسلاتها فيكون الفرق بين التعديل والاحصاء الحقيقي عددًا عظيمًا يبلغ ١٢٤٨٨٠٠٠٠٠ وهو ما يقارب مقدار التعديل مرة ثانية على انهُ لو كان جعل عدد مكاتيب الساعات على حساب اليوم والليل اي ٢٤ ساعة لكان اقرب الى الصواب

وقد وضع غير ما ذكر معدلات كثيرة عن عدد المكاتيب والمساحة التي تشغلها لو فرشت على الارض مطويةً او مفرودة ومقدار ما يلصق من الطوابع على عموم المراسلات ومقاسها وما يصرف من الريق في لصقها ولما كانت هذه المعدلات لا تدخل تحت ضبط ضربنا عن ايرادها صفحًا واكتفينا بما نقدم من البيانات الصحيحة والتي تهم معرفتها

اما المراسلات المهملة اي التي لا يتيسر توزيعها فيختلف عددها بين البرد وذلك بحسب طرق توزيع المراسلات وسهولتها في مصالح البرد وحالة اعتناء الاهالي بانتظام عنوانات مراسلاتها والبحث عنها

على ان معدلاتها العمومية في برد اوربا واميريكا هي من نصف الى واحد في الالف واما في غيرها فاكثر من ذلك. ومعدل الذي يتيسر للبريد ارتجاعهُ منها الى مراسليها الاصليين فيختلف عددًا اكثر من الاولى فانهُ بين الخمسة والخمسة والسبعين في المائة

اما باقي انواع المراسلات والنقود والمثمنات التي لم تستلم من البريد فلم يعمل عنها احصاآت عمومية ليمكن منها معرفة مقدارها وغاية ما عثرنا عليهِ من

بعض البيانات الاخيرة ان قيمة الحوالات التي لم تطلب من بريد انكلترا واضيفت الى جانب المصلحة بلغت في سنة ١٨٨٨ الفاً وثلاثمائة ليرة انكليزية

البريد الخصوصي

البريد الخصوصي وكان يسمى عند الاقدمين بالمراسلة ولا يزال هذا الاسم يطلق عليهِ في بعض بلاد الشرق

وقال بعضهم انهُ الاسم الحقيقي الذي ينبغي اطلاقهُ على البريد العمومي وكان اليونانيون الاقدمون يسمون بريدهم الخصوصي بما معناهُ (ملاك) نسبة الى الملك جبرائيل الذي يحمل الاوامر الالهية الى الانبياء والصالحين وهو يعرف عند الاوربيين بالبريد الصغير وبالرسول ويسميهِ الصينيين كوما ومعناهُ جائب او رائد على ما يقال

وهو ما تتخذهُ المحلات العمومية وبعض الافراد في البلاد الخالية من البريد وكانت البرد الخصوصية في قديم الزمان كثيرة جداً في اوربا حتى في نفس عواصمها لعدم وجود البريد العمومي اذ ذاك في بعضها وعدم قيامهِ بحاجة العموم لاختصاصهِ في غالب الاوقات بنقل مراسلات الملوك والشرفاء واهمالهِ مراسلات باقي الشعب الى حين سنوح الفرص كما تبين في اول وصف البريد العمومي

واشهر بريد خصوصي كان في القرن الخامس عشر وكان ينقلهُ الجزارون الذين كانوا يجولون من مكان الى آخر لابتياع البقر والغنم

وبريد مدرسة باريس الكلية الذي كان ترتب لهُ سعاة مخصوصة مشاة لارسال الخطابات والمؤلفات اللازمة من المدرسة واليها وكان ينقل الوفا من مكاتيب طلبتها الى بلدان اوربا المختلفة التي اتوا منها ويأتيهم بالرسائل وبما

يحتاجون اليهِ من المال وغيرهِ وفيما عدا ذلك كان كثيرٌ من مكاري الدواب يقومون بنقل الرسائل و يستغنون باجرتها عن مكاراة دوابهم للحمل والركوب الّا ان كل هذه الوسائط كانت غير منتظمة من حيث تعيين الاجرة واوقات السفر والوصول و بعد ان اخذ البريد العمومي بالانتشار صارت هذه البرد تتقهقر امامهُ شيئاً فشيئاً حتى تلاشت من جميع اوربا

بيد ان نظام بعض البرد الخصوصيّة قد اهلها مع الوقت لان تحوز ثقة الحكومات في بعض الممالك وحصلت على امتيازات حتى صارت من الشركات الشهيرة

وكانت بعض الحكومات تضطر عند اضافتها للحكومة ان تشتري امتيازاتها من اربابها بمبالغ وافرة وكثيراً ما كانت تحاكي بالنظام البرد العموميّة بل اتصلت لان تكون اصلاً لبريد عام

ولم يبقَ الآن من البرد الخصوصيّة الّا في بلاد الشرق ولكنها لا تستحق الذكر وذلك في داخليّة بعض البلاد المستبعدة عن مراكز البريد العمومي واشغالها قاصرة على نقل القليل من الرسائل البسيطة وهم ينقلونها ما بين البلدان الصغيرة والبلاد الّتي بها مراكز للبريد العمومي و بالعكس وذلك بواسطة سعاة خصوصيين او بواسطة مكاري الدواب وهم يحكمون سفرهم ووصولهم على الاكثر بموافقة مواعيد البرد العموميّة ليسلموها ما يكون واردًا معهم من المراسلات الّتي برسم جهات لا يمكنهم الوصول اليها و يستلمون ما يخص الجهات الّتي يمرون عليها

وقد يستلمون غير المكاتيب الاعتياديّة مثل اوراق واشياء ذات قيمة ونقود وما اشبه ذلك بمقتضى اذن خاص من اربابها

والبرد الخصوصيّة هي قديمة جدًّا لا يمكن تحديد نشأتها بالضبط وانما من سير التجارة في الازمان المتقدمة يمكننا ان نقول انها كانت موجودة قبل التاريخ المسيحي في زمن اليونان والرومان وغيرهم من الامم التي قامت بفتح الطرق التجاريّة الواسعة

وقد عاشت زمناً مديدًا حيث بقيت منتشرة الى القرن السابع عشر حتى اخذ البريد العمومي يبلغ اشدهُ في الاتساع والنظام

ومن المعلوم ان اتخاذ طرق التراسل بواسطة هذه البرد عند عدم وجود البريد العمومي هو اضطراري وذلك لمقتضيات الاشغال العموميّة والخصوصيّة فيكون منهُ فائدة للاهالي حيث يقتصد بهِ الانسان اجرة رسول خصوصي وفائدة للسعاة والمكارين بما يأخذونهُ من الاجر

وكان امراء الرومانيين يستخدمون القزم لايصال مراسلاتهم وهم خلائق قصار القامة لا يزيد طول الواحد منهم على قدمين ونصف او ثلثة اقدام وهم المعروفون عند العرب بقوم يأجوج ومأجوج وذلك لانهم كانوا خفاف الحركة يفتكون بالعدو ولا يخشون بأساً ولا دركاً حتى في الاراضي الوعرة وقد وصفهم بعض اصحاب الرحلات بقولهِ انهم ذوو خفة عجيبة ومناظر غريبة ولا سيما عند خروجهم من المدينة وتفرقهم خارج بابها الى الجهات التي يقصدون ايصال المراسلات اليها فانهم يظهرون للناظر اليهم عن بعد كانهم قطيع من الجداء ذهبت للمرعى وفي بعض بلاد اوربا التي لا يوجد فيها من حمام الرسائل كانوا يستخدمون نوعاً من الكلاب سريع العدو في ايصال المراسلات المهمة ولا يزال ذلك مستعملاً في بعض بلاد اميركا حتى الآن. قيل في كيفيّة التراسل انهم يعلقون

الرسالة في عنق الكلب و يبدون لهُ اشارة يعلم منها الجهة المقصودة والشخص المرسلة اليهِ الرسالة و يوجد نوعٌ من الكلاب في غاية الموافقة لنقل المراسلات لخفة سيرهِ وحرصهِ على الرسائل فيحامي عنها الى آخر نسمة من حياتهِ . وحكي عن كلبٍ انهُ كان يسلم الرسائل الى اصحابها ولا يذهب الّا بعد ان يعلقوا في عنقهِ رسائل تنبئ بوصولها ولا عجب في ذلك فقد روي عن الكلاب نوادر غريبة تفوق التصديق حتى انها ترسل الآن الى الحروب المنظمة للخفارة والاستكشاف وما اشبه ذلك وربما تستعمل للمراسلات الحربية عند مس الحاجة اليها

والكلاب تستعمل بكثرة في جهات روسية للتراسل في الاوقات التي يتعسر فيها المسير من تراكم الثلوج بين القرى البعيدة عن مراكز البريد . ومن غريب ما جاء عن تسخير الحيوانات في ايصال المراسلات الخصوصية انهُ كان في زيلندا موزع يوزع احدى الجرائد منذ اثني عشرة سنة وهو ممتطٍ فرساً هندياً من الافراس الصغيرة فاعتراهُ ذات مرة مرض اضطرّهُ الى لزوم الفراش فبعث الى المشتركين الذين كان يحمل اليهم الجرائد كتاباً ينبئهم بهِ ان فرسهُ يقوم مقامهُ في ايصال الجرائد اليهم و يسأل كلاً منهم ان يأخذ الجريدة التي باسمهِ في الساعة الفلانية من الكيس المعلق بالسرج ومن ثم اخذ ذلك الفرس يطوف موزعاً الجرائد على ستين مشتركاً فكان يقف يومياً في الساعة المعينة امام بيت كلٍ منهم ولا يزال يصهل اذا ابطأ صاحب الجريدة عن اخذها حتى يأخذها و يمضي الفرس بسلام . ومضى عليهِ على هذا المنوال ثلاثة اسابيع ولم يبدُ منهُ اقل خلل في وظيفتهِ فيما خلا مرتين انتبه في احداهما بعد ابعادهِ عن بيت المشترك مسافة

ميل انهُ نسي ان يأخذ لهُ الجريدة وعاد سريعاً من تلقاء نفسهِ ووقف امام الباب لجاري عادتهِ الى ان اخذت الجريدة من الكيس. انتهى

واكثر البرد الخصوصيةً لم يكن لها محلات او مراكز مخصوصة فكانت المراسلات تتسلم في محلات اربابها او تودع لهم في احدى الحوانيت او المحلات العموميةً مثل القهوات وغيرها الى حين استلامها منها كما كان رؤساء السفن يفعلون عند وصول السفن الى الثغور

الفصل الثاني

في ادارات البريد ومعداتهِ وطوابعهِ وادواتهِ

كانت ادارات البريد بحسب ترتيبها القديم تابعة رأساً لاحد مراكز حكومة البلاد فيديرونها بحسب مصلحة الحكومة وتارةً بحسب مصلحة امرائها بقطع النظر عن المصالح العموميةً التي عليها مدار العمران والتقدم ولذلك لم يكن للبريد في قديم الزمان الاَّ بعض الفروع في عواصم البلاد والمدن الشهيرة بنوع بسيط في محلات لا تتميز عن محلات السكن او الحوانيت وكان اكثرها في اماكن غير مشهورة من البلدة او في حارات ضيقة متعرّجة حتى انهُ كان يصعب معرفتها ولا سيما على الغريب وبقيت على هذا الحال عدة اجيال حتى شعرت الحكومات باهمية البريد وفوائدهِ

واما في هذا العصر فقد جعلت ادارتهُ مستقلةً عن سواها لتكون حرة في نمو فروعها وامتداد نظامها الموافق لمصلحة الحكومة والرعيةً معاً فرتبت على

نظامات وقواعد واختيرلها اشهر الاماكن فضلاً عن العلامات الخصوصيَّة التي تجعل فوق ابوابها ونوافذها حتى اصبحت اشهر من نار على علم للقريب والغريب وراعوا في اقامتها النقط الموافقة لاشغال العموم

والادارات البريديَّة بحسب النظام الجديد تقسم الى عموميَّة وفرعيَّة وهذان تقسمان الى قسمين وهذه الاقسام تختلف في الاتساع باختلاف درجات الممالك والبلاد كما لا يخفى . على ان قاعدة النظام بوجه العموم واحدة في جميع الممالك المتمدنة والفرق فقط في الاستعداد بحسب حالة البلد . فالبلاد الكبيرة مثل العواصم والمدن الشهيرة تكون محلاتها متسعة وفيها لكل نوع من الاشغال محل او جملة محلات او فروع ولها في كل حي او قسم من البلد مكتب فرعي . والادارات المتوسطة يكون فيها قلم واحد لكل نوعين من الاشغال او اكثر

والادارات الصغيرة تكون جميع انواع اشغالها في محل واحد بحيث يكون لكل نوع منها قسم منفرد على حدة بواسطة حواجز خصوصيَّة

والقسم الاول من الادارات العموميَّة هو الديوان الاصلي العام واشغاله تقسم الى دائرتين داخليَّة وخارجيَّة وكلٌّ منهما يقسم الى فرق وكل فرقة الى اقلام وكل قلم الى عمل خصوصي ولكلٍّ من هذه الدوائر والفرق والاقلام رؤساء ونواب وعمال عددهم ودرجاتهم بحسب اللزوم كما سيأتي بيان ذلك في فصل عمَّال البريد ووصف البريد المصري

ومن هذا الديوان تصدر جميع الاوامر والترتيبات الى باقي الادارات الثانويَّة وفروعها واليه ينتهي الامر والنهي ومراجعة جميع الاعمال والحسابات

العمومية والفرعية

وفي الممالك المتسعة يكون له ادارات عمومية ثانوية متسلطة على ادارات بريد كل ولاية او اقليم وادارات البريد العمومية محسوبة من اهم النظارات وفي بعض الممالك تكون وزارة قائمة بذاتها كما هو جارٍ في حكومتي باڤاريا وورتمبرج مثلاً . فان ادارتي البريد فيهما مستقلتان ومن قوانينها ان ما يزيد من الدخل عن الخرج بعد سد جميع احتياجات الادارات البريدية يدفع الى الخزينة الامبراطورية وفي غيرها تكون تابعة لاحدى الوزارات او النظارات مثل المالية او التجارية او النافعة او غيرها او تكون نظارة واحدة مع التلغرافات او السكة الحديدية او كلاهما لما بين تلك المصالح الاخيرة من النسب والعلاقات بالاشغال والقسم الثاني من الادارات العمومية هو ادارات المراكز الكبيرة التي في عواصم البلاد والمدن الشهيرة وهي تتلافى اشغال البريد الاعتيادية وملاحظة المراكز الصغيرة وتتلقى الاوامر من الديوان العام وتنفذه الى فروعها وبالعكس وذلك لزيادة الضبط في الاعمال وتقريب المسافة بالملاحظة ومداركة ما يجد من الامور المهمة والاستعلامات اللازمة للفروع المستبعدة عن مركز الديوان العام

واتساع كل من هذه الادارات واهميتها هو بحسب اتساع مركزها والفروع التابعة لها وغالباً يكون بها مستودع فرعي للمخزن العام لانواع الدفاتر والمطبوعات والادارات ليتوزع منها على المكاتب الفرعية التي تحت ملاحظتها وجملة من العمال الاحتياطية الذين سيأتي الكلام عنهم في الفصل الآتي

ويلي هذه الادارات في الاهمية القسم الاول من الادارات الفرعية

وهي مراكز البريد الموجودة في المدن التي من الدرجة الثانية وهي تؤدي اشغال البريد الاعتياديّة فقط وليس تحت ادارتها فروع الاّ فيما ندر وملاحظة اشغالها تكون غالباً تابعة رأساً للديوان العام الاّ في بعض الاحوال التي تستوجب الملافاة من اقرب ادارة وتكون الادارات في الغالب مرتبطة مع الادارة العموميّة او الفرعيّة بالاسلاك التيلوفونيّة للمخاطبة عن الامور الوقتيّة

وكثيرًا ما تضيق هذه الادارات بالاشغال فتضيق سرعتها المطلوبة ثم تصبح بعد سنين قليلة غير صالحة لادارة الاشغال فتدعو الحال الى تغييرها او توسيعها فيترتب احياناً على ذلك حيرة عظيمة وانفاق نفقات طائلة

ولذلك عولت اغلب المصالح على جعل محلات ادارات البريد المستجدة اكثر اتساعاً عن لزوم اشغالها الحالية احتساباً للمستقبل بنوع لا يضيق على الاشغال مع ازديادها

اما الادارات الفرعيّة فهي مراكز البريد الموجودة في البلدان الصغيرة والمكاتب السائرة اي النقالة التي تجول في القرى برًّا على عربات السكة الحديد او غيرها وبحرًا على السفن

ومن هذه الادارات الصغيرة ما لا يقبل من اشغال البريد الاّ نوع المراسلات البسيطة فقط وفي الممالك التي اعتنت لتعميم البريد في كل القرى الصغيرة قد رتبت في جميع الجهات القليلة الاهمية سعاة لقبول المراسلات وتوزيعها او احالة ذلك على بعض ارباب الحوانيت اذا وجد منهم في القرية من تكون به اللياقة

اما مواعيد ادارات البريد فهي بوجه العموم يوميّة بغير استثناء الاّ في

قليل من الممالك قد تقفل بها مكاتب البريد في اول يوم من الاعياد المشهورة وبعضها يقفل بعد ظهر ايام الآحاد وقد يتصادف فتحها في الاوقات غير الاعتيادية عند تأخير ورود البريد عن مواعيده المقررة او ورود مراسلات بكثرة فوق العادة بنوع يوجب الازدحام خصوصاً عند ما يتصادف صدور او ورود البرد من جملة جهات واليها في آن واحد فتبقى حين ذاك ادارات البريد في ازدحام والعمال في حركة مستديمة السرعة كانها آلة بخارية وهنا يحسن لنا ان نقول

لو يعلم اولئك الذين يتململون وقت انتظار توزيع المراسلات بما في ادارات البريد من الالوف المؤلفة من المراسلات وما يقتضي لها من الكد والعمل لعذروا عمال البريد ويبدل منهم الضجر بالشكر

وفي كل الحالات قد يراعى في مواعيد فتح المكاتب واقفالها مواعيد الوابورات البرية والبحرية والاوقات الموافقة للمصالح العمومية حتى ان كثيراً من البرد اخذت الآن تطيل اوقات افتتاح المكاتب خصوصاً في الليل حتى لا يبعد مع الوقت ان نرى مواعيد افتتاح مكاتب البريد ومعاطاة اشغالها كالمكاتب التلغرافية المتواصلة الاشغال بين الليل والنهار بواسطة تناوب العمال

ويتبع ادارات البريد المراكز اي المحطات التي تقام في الطرق لتبديل الدواب والمسفرين والسعاة او راحتهم من المسير وكانت في القديم كثيرة جداً في البلاد وكان لها شهرة وعمل عظيم اكثر من هذا العصر الذي توفرت به سهولة النقل بواسطة الطرق الحديدية والسفن البخارية

وهذه المراكز محلات قائمة في الخلاء وتكون غالباً منفردة عن البلاد والقرى حيث يراعى في اقامتها مصلحة البريد الذي يلزمهُ ان يسلك في اقرب الطرق بصرف النظر عن المسالك العمومية التي تمر على البلاد

وهي غالباً مؤلفة من محلين او ثلاثة واحد منها للمتسفرين والسعاة والباقي للدواب وخدمتها ولم يبقَ الآن من هذه المراكز الاَّ في ممالك الشرق و بعض جهات أُخرى قليلة من رومية الخالية من الطرق الحديديَّة

امام اقلام ادارات البرد فتقسم الى عشرة اقلام الاول قلم الادارة او مكتب الرئيس ومن خصائصهِ ملاحظة جميع الاشغال المركزيَّة والفرعيَّة (اذا كان تابعاً لادارتهِ فروع) وقبول مطالب الجمهور والاجابة عنها والثاني قلم السفريَّة وهو مختص بتسفير جميع انواع المراسلات التي تسلم اليهِ من باقي الاقلام الى جهاتها الداخليَّة والخارجيَّة

ويسلم جميع المراسلات الواردة من الجهات ويفرزها ويوزعها على اقلامها المختصة بها

والثالث خزينة النقود والرابع تحصيل قيم الاوراق لذمة ارابها اي المدايتين والخامس التأمين او السيكورتاه والسادس الرزم الصغيرة اي طرود البوستة والسابع المراسلات الميريَّة والثامن توزيع المراسلات العموميَّة والتاسع التوصية اي تسجيل المراسلات

والعاشر الصندوق الاقتصادي العام وفي الادارات المهمة يكون لكل قلم من هذه الاقلام فروع داخليَّة وخارجيَّة وصادر ووارد

واما المكاتب الصغيرة فتكون جميع الاقلام فيها معاً كما سبق القول اما

ادوات البريد تنقسم الى نوعين

الاول ادوات الكتابة والثاني ادوات العمل فادوات الكتابة هي المطبوعات والدفاتر المختلفة الحجم واللون والرسم يزيد عدد اصنافها على الالف اذ لكل نوع من الاشغال جملة دفاتر ومطبوعات وجميعها مستوفي الاتقان جامعٌ بين الضبط والاختصار تسهيلاً للجمهور واقتصارًا للعمل وهذا من اعظم وسائط الاقتصاد التي لولاها لم يكن ضعفاء العمال الموجودين في اشغال البريد ولذلك يوجد في كل مصلحة بريد مخازن عظيمة الاتساع ومطابع مستعدة وبالاجمال نقول

ان من لم يدخل في اشغال البريد لا يقدر ان يقف على مفصلات عمله الواسع وربما يظنهُ من الاشغال البسيطة لانهُ لا يدري ماذا يجري بالرسالة منذ تسليمها في محل تصديرها الى حين استلامها في محل ورودها ولا يدري على كم يد تقلبت وفي كم دفتر كتبت

وقد ظهر من المعدلات العمومية ان اشغال مصلحة البريد تستهلك من انواع الورق اكثر من اشغال جميع المصالح

اما ادوات العمل فكثيرة الانواع ايضاً وغالبها من خصائص اعمال البريد التي لا حاجة الى شرحها

وانما نخص منها بالذكر ما يهم الجمهور معرفتهُ وهي احد انواع الاختام المعروف بختم التاريخ وهو يحتوي على اسم جهة التصدير او الورود وتاريخ اليوم والشهر والسنة ونمرة السفرية . ولا يخفى فائدتهُ ولا سيما للمراسلات المهمة او التي سها مرسلوها عن وضع اسم محلهم او التاريخ

وفي بعض ممالك اوربا جعل لهذه الاختام آلة خصوصية تدار بالرجل او اليد وهي تشبه آلة الخياطة وبسبب عدم اتساق حجم الرسائل ووضع الطوابع فلا يستغنى بها عن عمل مستخدم لترتيب المراسلات ودفعها لآلة الختم على انها لم تستعمل في جميع البرد لقلة الفرق بين سرعتها وسرعة ختم اليد فان المتمرن من الختامين يمكنه ان يختم من ١٥٠ الى ٢٠٠ رسالة بالدقيقة والبارع منهم يختم اكثر من ذلك

واما مزية الآلة في كونها لا تتعب المستخدم كالختم اليدي وللادارات المهمة غرف خصوصية منفردة لختم المراسلات لداعي ما ينشأ عن حركة الاختام الكثيرة من الجلبة والقرقعة العظيمة

ومعدات البريد كثيرة ايضاً واهم ما يفيد معرفته منها هو اولاً صناديق المراسلات وهي نوعان الاول الصناديق الخصوصية وهي من ابتكارات النصف الثاني من هذا القرن ونظاماته وهي تعطى للافراد باشتراك خصوصي يدفع قيمته مقدماً وفائدتها مزدوجة لمصلحة البريد والمشتركين حيث يرتاح بها مأمورو التوزيع من ازدحام العمل ويرتاح الافراد من انتظار ارفضاض العالم او مشقة المزاحمة

وقد اعتاد بعض الاوربيين وضع نمرة الصندوق على عنوانات مغلفاتهم لزيادة التسهيل على مأموري الفرز وعند وجود مراسلات تضيق عنها الصناديق فيوضع عنها اشعارًا من البريد لاستلام باقيها من محل اللزوم وفي الادارات التي يوجد بها صناديق بكثرة قد يكون لها مستخدم خصوصي لملاحظتها والارشاد على نمرها للذين يجهلونها

وفوق ذلك قد يعلق بمفاتيحها قطع من النحاس مكتوب عليها نمرة الصندوق لزيادة السهولة والضبط وادارات البريد تجتهد بان تكون جميع المفاتيح مخالفة بعضها عن بعض حتى لا يكون بينها ما يفتح صندوق آخر واذا تعسر ذلك فلا يكون في كل صف من الصناديق ما يوافق مفتاحها الآخر ولذلك عند فقد احد المفاتيح او فساد قفلها لا يضع غيرها الاَّ بملاحظة ادارة البريد واخترع مؤخرًا لذلك في اميركا نوعٌ خصوصي من الاقفال مفتاح كلٍّ منها لا يوافق غير قفله مهما كان عدد الاقفال وقد اتخذتها غالب البرد لصناديقها لما بها من الضبط والحفظ

والنوع الثاني صناديق المراسلات العمومية وهي من ضمن التسهيل المفيدة للعموم ولذلك قد انتشرت في طرقات بلدان جميع الممالك المتمدنة كما يعلم من جداول الاحصاآت العمومية حيث تاكد ان فائدتها تكون بمقدار كثرتها

وكانت هذه الصناديق قديمًا بسيطة على شكل خزانة صغيرة لها فم من اعلاها او احد جانبيها ذات باب يفتحهُ احد خدمة البريد وقت لزوم اخذ المراسلات بمفتاح عادي بسيط

وكان اول وضعها في فرنسا على زمن لويس الرابع عشر واما الصناديق المستعملة الآن فهي من حديد قوي لهُ باب لا يفتح الاَّ عند الاقتضاء بحضور احد مأموري البريد لاجراء كشف او اصلاح خلل ويعلو هذا الباب فرجة لوضع المراسلات منها ولها غطاء ثابت او متحرك لوقايتها من المطر

وهذه الصناديق داخلها آلات غريبة التركيب وبواسطة هذه الالات وآلة الكيس التابع لها يمكن تفريغ المراسلات به ونقلها الى ادارة البريد بدون

ان قسمها يد المستخدم المعين لتفريغ المراسلات

وذلك ان الكيس المذكور لهُ غطاء حديدي آلي وعند ما يقصد تفريغ المراسلات بهِ يدخل هذا الغطاء بين حرفي جانبي الصندوق الاسفلين ثم يدير المفتاح الثابت بغطاء الكيس ويعمل اليد الثابتة ايضاً بجانب غطاء الكيس المذكور فينزل اسفل الصندوق وغطاء الكيس المذكور اليهِ فتسقط جميع المراسلات التي تكون بالصندوق ضمن الكيس وعند سحب الكيس يرتد كلٌّ من غطائهِ ومسفل الصندوق الى محلها مقفلين كما كانا وعند وصول المستخدم المتولي هذا العمل الى ادارة البريد يسلم الكيس مقفلاً الى المأمور او نائبهِ وهو يفتحهُ بالمفتاح الخصوصي المحفوظ عندهُ ويخرج المراسلات الموجودة بهِ ودقة الصنعة في هذه الصناديق في كون آلاتها مشتركة مع آلات الكيس لا تفتح ولا تقفل الاَّ باجتماعهما كانهما رقيبان ويشبهان بذلك شخصين مستولين على خزانة لا يمكن فتحها الاَّ بوجودهما

الاَّ ان شخصي الصندوق والكيس اكثر ضبطاً فانهما من جماد ولا يخشى لهما سهوٌ او انحياد

ولهذه الصناديق علامات من قطع نحاسيَّة تغير كلما اخذت المراسلات منها اولاً ليعلم الجمهور بالمواعيد الآتية لتفريغ المراسلات منها وثانياً لتعلم ادارة البريد اذا كان المنوط بهِ هذا العمل قام بتفريغ جميع الصناديق التي في قسمهِ اولاً

ولداعي دقة آلات هذه الصناديق يلزم الكشف عليها في كل مدة خوفاً من حصول خلل بها يضر بالمراسلات . ومن الاحتياطات المأخوذة لحفظها

تشديد مصالح البريد على الجمهور من وضع المراسلات الكبيرة الحجم بها كي لا تنفصل بها الصناديق فتعيق الخطابات الاعتيادية من السقوط وقت التفريغ

واوجبت تسليم كل ما يخرج عن هيئة الخطابات الاعتيادية في مكاتب البريد ونظرًا لاتقان هذه الصناديق واكيلها فهي غالية الثمن

ويوجد نوع آخر من الصناديق ابسط حالة من الاولى وهو من حديد على شكل خزانة ذات باب بسيط ولهُ فوهة لوضع المراسلات محكمة فرق فوهة صندوق آخر ضمنهُ واقل حجمًا منهُ

وعندما يقصد اخذ المراسلات يفتح باب الصندوق الخارجي ويؤخذ الصندوق الذي داخلهُ ويوضع بهِ محلاً صندوق آخر بدلاً منهُ والصندوق الذي اخذ يبقى مقفلاً الى حين وصوله لمكتب البريد حيث لا يفتحهُ الاَّ مأمورهُ او نائبهُ

وهذا النوع مستعمل في المانيا منذ القديم وقد اتخذ مؤخرًا في مصر بنوع الاحتياط الوقتي اي عند الحاجة ريثما يؤتى بصندوق من النوع الاول السابق وصفه

ويوجد انواع غير ذلك اقل نفقةً منها الاَّ انها دونها في السهولة والضبط وليس بها ما يستحق الوصف لبساطتها

ولم يعدم البريد من عالم الاختراع نصيبًا من ذلك ما تم بهِ من نظام الصنعة في صناديق المراسلات التي ابلغتها درجة الكمال لحفظ ما يوضع من الرسائل حتى اصبحت امنع من جبهة الاسد

ولذلك كثيرًا ما كانوا يصورون عليها رأس اسد ويجعلون الفرجة المعدة

لوضع المراسلات داخل فم الاسد رمزًا الى المنعة والحفظ

وفي بعض بلدان ايطاليا كل صندوق مراسلات متصل بسلك كهربائي لاقرب مركز عسكري حتى عند وقوع ادنى تعدٍ على الصندوق يطرق جرس السلك المذكور فيبادر احد العساكر الى محلهِ ويضبط المعتدي حالاً

وفي روسيا قد اخترع مؤخرًا نوع من صناديق المراسلات غريب الوضع ومن شأنهِ ان كل رسالة توضع فيهِ يقع عليها بالحال تمغة التاريخ وغرة السفرية

واغرب من ذلك ما اخترع في انكلترا من عهد قريب وهو ان على جانبي فرجة الصندوق الذي توضع بهِ المراسلات فرجتين صغيرتين قد كتب باعلى الاولى (مبيع طوابع البوستة) وعلى الثانية (مبيع تذاكر البوستة) فيلقي الانسان في فرجة الصنف المرغوب قطعة معلومة من العملة المقررة توازي قيمة الطابع او التذكرة فيبرز حالاً من صندوق المراسلات درج صغير فيهِ الصنف الذي القي قيمتهُ وبعد اخذهِ يرتد الدرج حالاً الى محلهِ كما كان

وهذه الصناديق مخصصة لضواحي البلاد والنقط المستبعدة عن مراكز البريد ومحلات متعهدي بيع الطوابع حتى لا يحرم احد من تسهيل التراسل اينما كان

ونظرًا لما هو متأكد في انتشار هذه الصناديق كانت مصلحة البريد الانكليزي قد شرعت في سنة ١٨٨٦ بان تجعل في المدن الكبيرة مثل لندرة وليفربول وغيرهما صناديق في المحلات التجارية لمن يرغب ذلك في نظير اجرة معلومة تدفع للمصلحة من جنيه انكليزي الى اثني عشر جنيهاً سنوياً

وذلك بحسب تعداد اوقات تفريغ المراسلات من الصناديق في المواعيد

المقرّرة او الّتي فوق العادة وبحسب موقع الصناديق من بعد المسافة او علو المحل (اي دور البناء الكائن فيهِ المحل والموضوع فيهِ الصندوق) بحيث يكون تركيب الصندوق بمعرفة مصلحة البريد وتفريغ المراسلات منهُ بمعرفة خدماء المصلحة المخصوصين لذلك

على ان هذا المشروع لم يصادف اقبالاً لاستغناء التجار بكثرة وجود الصناديق العموميّة في جميع الطرق وقرب بعضها من بعض واما الصناديق الموجودة في ذات ادارات البريد فهي من النوع البسيط لانها غير محتاجة للاجراءات الاحتياطيّة كالصناديق الخارجيّة والمكاتب الكبيرة يكون في جوانبها جملة صناديق لزيادة السهولة

وقد يخصص بعض الصناديق لوضع المكاتيب وبعضها المطبوعات ولكن اغلب البرد ابطلت هذا التخصيص لعدم امكان العامة التمييز بينهما

وقد اهتمت اكثر الحكومات باضافة بنود خصوصيّة في قوانينها العموميّة لعقاب المعتدين على صناديق المراسلات من خصوصيّة وعموميّة

ثانياً عربات النقل واول من استعمل انواع العربات لنقل البريد الرومانيون وكان للحكومة اعتناء زائد بها وكانوا يكتبون على جوانبها بالخط الجلي (بوستة الامة الرومانيّة) ومن تحت ذلك ما معناهُ (محفوظة بعناية الاله) او يكون الاله محافظك

واما الآن فقد اقتصرت البرد على كتابة لفظة بوستة فقط والعربات على اربعة انواع

الاول عربات نقل البريد الصادر والوارد ما بين ادارتهِ والمحطات البريّة

والبحرية وهي تحتوي على صالين اولها مكشوف الجوانب مخصص للجلوس مستخدمي البريد والثاني على شكل غرفة مقفلة الجوانب لوضع انواع المراسلات والنقود وفي بريد برلين (عاصمة المانيا) لم يكتفِ بسرعة عربات النقل ما بين الادارات العمومية وفروعها المتفرقة بالعاصمة بل جعلوا لذلك السرادقات تسير بها مركبات صغيرة على خط حديدي اشبه بالقطارات الحديدية وهي متصلة بكل مكتب فرعي

وعند ما يقصد توزيع البريد العام على الفروع توضع المراسلات ضمن عربات هذه السرادقات وتصوب عليها نفس (آلة ضغط الهواء) فتندفع بقوته عربات البريد فتصل الى جميع الادارات بكل سرعة وفي آن واحد وعند وصولها الى الادارة تطن في مقدمها جرساً فينبه عمال البريد فيبادرون الى استلام المراسلات واجراء مقتضياتها

وقد استعملت هذه الطريقة مؤخراً في مدينة باريز ايضاً

والثاني عربات الطرق الحديدية وهي تميز عن باقي عربات القطار بهيئتها الخارجية والداخلية وتحتوي على بابين متقابلين في منتصفها العرضي يتكون من ثلثها العلوي شباك مدرع من خلف الزجاج بالحديد وعلى كل من جانبيها شباكان متقابلان على قدر شباك البابين ونستهار من داخل العربة في صدر احدى نصفيها الطولي خزانة حديدية للنقود والاشياء الثمينة داخل محل محكم الوضع وبجانبها مقعدان طويلان مفروشة مقاعدهما وسانداهما من نوع المفروشات الموجودة في عربات الدرجة الثانية وهما لجلوس قومسارية البريد والمستخدمين والنصف الثاني من العربة المقابل لذلك محاط بحائدتين مستطيلتين ثابتتين

وهما لكتابة ومقتضيات الاشغال يعلوهما خانات منفصلة بقواطع خشبيةٌ لوضع المراسلات المتفرقة

واما المحلات الخالية في اسفل موائد هذا الجنب وظهر محل الخزانة بالجنب الثاني فمعدة لوضع اكياس المراسلات المقفلة ورزمها

وفي بعض العربات اختلاف عن هذا الرسم وقد اكتفينا بوصف الاكثر شهرة واستعمالاً في البلاد وعند الاقتضاء يتبع هذه العربات عربة او اكثر لشحن البريد الذي يزيد عن المقرر لها

والثالث عربات البريد السائر وهي التي تجول ما بين البلدان والقرى في جميع الطرق السهلة لتسليم المراسلات واستلامها في الجهات التي ليس فيها مكاتب للبريد وهي كثيرة جداً في اوربا وتشبه في وضعها العربات المعروفة بالامنيبوس الاَّ انها اكثر احكاماً من حيث ضبط جوانبها وصغر نوافذها وترتيبها من الداخل يشبه مكتباً صغيراً وهي مستوفية معدات اشغال البريد ومقسمة بين محل جلوس الموظف والكتابة وخانات الدفاتر والاوراق وباقي الادوات وصناديق المراسلات الصادرة وادراج الطوابع وخانات لتوزيع المراسلات الواردة وفي بعضها قسم خاص للذين يريدون السفر الى الجهات التي تمرُّ عليها

ولها مواعيد مقررة للذهاب والاياب من والى مراكز البريد العموميَّة والوصول الى القرى والسفر منها وبواسطة هذه العربات والخيَّالة مع السعاة المعروفين بالطوافة ثم للبريد ان يعم جميع الجهات ويتبع ذلك محلات البريد السائرة على السفن التي تسير بين البلدان الواقعة على شواطئ البحار وضفاف الانهار التي اوضحنا عنها قبلاً عند الكلام على ادارات البريد الفرعيَّة والرابع

عربات التوزيع في المدن وهي صغيرة الحجم يجرها فرس واحد وتقوم هذه العربات ايضاً بايصال المراسلات المستعجلة التي ذكرت في الكلام على انواع التوزيع وذلك عوضاً عن السعاة المشاة او الخيالة وقد ارتأى بعضهم مؤخرًا ان يستعمل للتوزيع الخاص والمستعجل نوع العربة المسماة ڤيلوسيبيد وهي ذات عجلتين رقيقتين الواحدة خلف الاخرى يتوسطها قطعة صغيرة يركب عليها السائق ويجرها بتحريك رجليه وهي تغني بسرعتها عن فرس يجرها ولكن الموزع لا يحمل عليها غير المكاتيب الخفيفة وهناك نوع آخر من العربات والزحافات لنقل البريد في الجهات الكثيرة الثلج والجليد وقد ذكرت ضمن الكلام على وصف البريد

اما طوابع البريد وهي المعروفة بورق البوستة فقد تأتى عنها فائدة في استعمالها اولاً لمصلحة البريد لكونها تحفظ بها حقوقها من الضياع سهوًا او عمدًا وثانياً للجمهور حيث يمكنهم بواسطتها ان يخلصوا مراسلاتهم بأي محل كان بغير ان يتكلفوا للذهاب الى مركز البريد ليعرفوا ما اذا كانت المراسلات الواردة اليهم خالصة الرسم اولا خلافاً للازمنة المتقدمة

وكانت الطوابع في اول استنباطها على غير هيئتها الحالية فانها كانت اكبر حجماً منها الآن وذات رسم بسيط غير منتظم خالٍ من التلوين والتخريم الذي يسهل فصلها ويحسن هيئتها ولذلك كانوا يفصلونها بعضها عن بعض قصاً بالمقراض والطوابع تشبه انواع النقود في تحسين هيئتها وتدرجها في الانتظام من حالتها القديمة الى الحالة الحاضرة

وكان اول اختراعها في اواخر القرن السابع عشر وقيل ان لويس الرابع

عشر اول مَنْ امر بطبعها وذلك انهُ لما شرع في عمل صناديق لوضع المراسلات جعل ورقاً لتخليص أُجر المراسلات بشكل بسيط يختلف كثيراً عن الطوابع الحديثة وهو ورق مطبوع عليهِ احرف عادية تتألف منها كلمات متفرقة يضع المرسل بينها اسم البلد وتاريخ اليوم والشهر والسنة وقت لصقها على المراسلات وفي سنة ١٨١٩ جعلت حكومة سردنيا طوابع فئة ١٥ و٢٥ و٥٠ سنتيماً وكانت هذه الطوابع تشبه ختماً بسيطاً على ورق ابيض وبعد ذلك بسنين قليلة اظهرت طوابع ملونة مرسوم عليها صورة ملوك وفي سنة ١٨٤٠ احدثت في انكلترا وسنة ١٨٤٣ في البرازيل وسنة ١٨٤٤ في سويسرا وسنة ١٨٤٥ في ايطاليا وسنة ١٨٤٩ في امبركا وسنة ١٨٤٨ في روسيا وسنة ١٨٤٩ في فرنسا وسنة ١٨٥٠ في البلجيك وباقي الممالك الغربيَّة . وفي سنة ١٨٦٢ في الدولة العليَّة وسنة ١٨٧٠ في اليونان وقد سهل تلوين الطوابع على العموم معرفة قيمتها ولا سيما على الاميين الذين ليس لهم دراية بالقراءة فضلاً عن انهُ حسن هيئتها. وقد تقلبت طوابع البريد على انواع مختلفة منذ انشائها الى الآن وقدَّر بعضهم اشكالها بستة آلاف رسم من انواع مختلفة مثل صور اشخاص متعددة وملوك وباباوات ورهبان وخيَّالة وسعاة وعلامات فلكيَّة كالشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من مركبات وسفن وصور حيوانيَّة مثل سباع وانواع الدبابات البريَّة والبحريَّة والطيور وغيرها واكثر هذه الرسوم جعلت رمزاً الى صفات معينة فكان رسم الرهبان مثلاً رمزاً الى امانة البريد ورسم الخيالة والسعاة دليلاً على سرعته ورسم الشمس والقمر وباقي الكواكب دليلاً على امتداده في الآفاق ورسوم المركبات والسفن والحيتان والطيور دليلاً على سيره برّاً وبحراً والسباع على

منعته والمحافظة عليه والدبابات كالحية على اتخاذ البريد الحكمة في سلوك آمن الطرق واقربها ورسم التنين ذي الجناحين دليلاً على عموم انواع البرد التي تسير في البر والبحر والجو وجوف الماء الى غير ذلك وقد اتخذ بعض الحكومات مؤخراً رسوماً جديدة غير التي ذكرت من ذلك ان احدى حكومات الولايات المتحدة في اميركا جعلت على طوابعها رسم خارطة ولايتها مصغرة بشكل لطيف محكم

ولا يخفى ان طوابع البريد بلغت احسن درجة من اتقان الرسم ودقة الصنعة بحيث كان تلوينها لا يحتمل مسح علامات مسبوق استعمالها وقد ساعد على افشاء كل محاولة الحبر الخصوصي الذي جعل للاختام المعدة لابطال الطوابع وقت مرورها على البريد فضلاً عن استدراك عماله للمح كل علامة تدل على التمويه

وبالاجمال فقد اصبحت طوابع البريد من الحفظ والصون بمكان حتى صار كل من يحاول التمويه يعد في درجة التغفل ويحسب (كالباحث عن حتفه بظلفه) وقد اخترع بعض مهرة الطباعين في اوربا ورقاً وحبر اختام خاصين بطوابع البريد بحيث اذا ختم بهذا الحبر طابع بوسته من غير الورق المذكور تفشى عليه حالاً بنوع جلي فينبه عمال البريد على فحص الطابع فحصاً مدققاً[1] وقد سنت الحكومات عقاباً صارماً على من يتجاسر على استعمال الغش في طوابع البريد حتى ولو كان التعدي واقعاً على طوابع بريد حكومة

(١) وهذا الاختراع يشبه المغلفات الخصوصية التي استنبطها احد صانعي الورق في مدينة نيو يورك عاصمة اميركا وهي مغلفات لا تفتح فان غطاءها الذي يلصق عند اقفالها مطلي بمركب كيماوي يجعله حساساً جداً حتى انه عند ما يحاول احد ان يفتحه او اذا اصابته رطوبة او عارض آخر بغير ان يمزق ظهرت عليه جملة انكليزية معناها "حاول الفتح"

أخرى لان البرد المتحدة قد استصوبت الاتحاد ايضاً بتنفيذ هذا الامر لزيادة المحافظة على حقوق الطوابع

ولطوابع البريد معامل خصوصيةٌ لا يتقنها خلافها وقد تكون ادارة هذه المعامل تابعة احدى الشركات او الحكومة

ومع ما هي عليهِ من استقامة رؤسائها وعمالها ففي اوقات ادارة التشغيل لا بد من ان يكون حاضراً بعض الرؤساء من متوظفي مصلحة البريد المشهورين بالامانة والتيقظ وعند كل فرصة من راحة الاشغال يأخذون قوالب الطبع فيضمونها ضمن خزانة خصوصيةٌ ويختمونها لحين اعادة التشغيل وعند تمام الطبع للقدر اللازم تؤخذ هذه القوالب وتوضع بخزانة عموم ادارة البريد من بعد الختم عليها من المدير العام ووكيلهِ وامير الخزينة ثم تحفظ هكذا الى حين تشغيلها مرة ثانية واحياناً تتم جميع الاجراءات المذكورة بواسطة رجال الحكومة

وحكي عن طوابع البريد انهُ كان قديماً بعض قوانين البرد تجيز الصاق نصف طابع عند الاضطرار اعني مثلاً اذا كان موجوداً طوابع فئة قرش ولزم الحال للصق طابع من فئة عشرين بارة فيمكن قطع نصف الطابع الذي من فئة قرش ولصقهِ

ولكن هذا القول يشك في صحتهِ حيث لا يخفى ما في ذلك من الغلط الظاهر فانهُ يوجد كثير من الطوابع التي تقع علامة ابطالها على احد اطرافها ويبقى الطرف الآخر سليماً فيمكن والحالة هذه كل انسان قطعهُ واستعمالهُ

وقيل انهُ كان يحصل ذلك وقت الاضطرار مثلاً عند نفاد صنف من الطوابع والاحتياج لتصريف بدلهِ من فئة اعلى

ومن اعظم الاصطلاحات التي تمت بشأن الطوابع ما بين مصالح البرد المتعاهدة توحيد لون فئاتها بحيث صار بمجرد النظر الى لون الطابع يعرف فئتهُ بواقع عملة اي بلاد كانت مثلاً ان الطابع الازرق الذي قيمتهُ قرش في بر مصر تكون قيمتهُ ٢٥ سنتيمًا بالبريد الفرنساوي وقس على ذلك الاَّ انهُ حيث لا يمكن كل بريد تغيير لون طوابعهِ على هذا الاصطلاح الاَّ شيئًا فشيئًا بحال انتهاء الصنف وطبع خلافهِ فلم يتسنَّ تعميمهُ لجميع البردسويَّة

على انهُ قد قيل من سار على الدرب وصل وغالب توحيد اللون الذي تمَّ الآن هو في الطوابع المختصة باجرة الخطاب العادي اي الَّتي تساوي نحو غرش صاغ او خمسة وعشرين سنتيمًا وانواع الطوابع الموجودة في كل البرد من فئات مختلفة تكون قيمتها بموافقة تعريفة أُجر انواع المراسلات وعملة البلاد وغالبها يوافق حساب الافرنك والسنتيم او هو قريبٌ منهما

اما طريقة لصق الطوابع وبيان اصطلاح العالم في شأنها والمستحسن منها والشاذ فيطلب من محلها الخصوصي من الفصل الاخير في الباب الثاني وقد زاد الطوابع سهولة المغلفات والحزامات الموسومة (المدموغة) الَّتي اخترعت اخيرًا وفائدتها بالاخص عند الاضطرار لارسال المراسلات الى البريد مع شخص جاهل كيفيَّة دفع رسمها بواسطة الطوابع الخصوصيَّة او يكون غير مختبر صداقتهُ وامنيتهُ عليها

ويوجد نوع من المغلفات يعرف باسم بوصلة وهو مفكوك الجوانب يكتب في وسطهِ ما يراد تحريرهُ ثم تثني جوانبهُ الثلاثة ويلصق عليها غطاؤها اي الجانب الرابع فتصبح كالمغلف

وهي فضلاً عن سهولة مأخذها والاقتصاد في استعمالها تفيد الذين يرغبون في مكاتبة اشخاص يخشى ان ينكروا ما كان محرراً على الورق الذي يكون داخل المغلف الاعتيادي. اما الحزامات المدموغة فتستعمل في ربطات اوراق الاشغال والجرائد واما تذاكر البوستة فقد زادبها تسهيلات التراسل وهي ايضاً لاتخفى فائدتها خصوصاً في وقت العجلة حتى يمكن التراسل بواسطتها في اي وقت ومكان فتغني المراسل عن ضياع الوقت في البحث عن ورق ومغلف وما اشبه هذا فضلاً عن بخس قيمتها

ولاتمام فائدتها قد جعلت على نوعين الاول المفرد وهو الاعتيادي والثاني المزدوج وهو خالص الرد وهذا يستعمل بين بعض الناس عند ما يقصد المرسل التعجيل في طرق الرد على رسالة او عدم تكليف المرسل اليهِ دفع قيمة الرد من جيبهِ وكان ابتكار التذاكر بواسطة العلامة اسطفان مدير عموم البرد الالمانيَّة نحو سنة ١٨٧٠

وجاء في بعض الروايات ان مخترعها رجل نمساوي من نحو عشرين سنة اي سنة ١٨٧٠ وان اول استعمالها كان في البوسطة النمساويَّة ولكن لما كان هذا المصدر مبهم العبارة وليس لهُ سند يركن اليهِ كان ما ذكرناهُ قبلاً هو الاصح والمقصود من العبارة المطبوعة على وجه التذكرة اي اتحاد البوسطة العام هو ان هذه التذاكر يمكن التراسل بها مع جميع بلدان الممالك الداخلة في اتحاد البرد العام ولمَّا رأت مصالح البرد ان تقارب صناديق المراسلات لاينال فيها تمام الفائدة مع بعد محلات مبيع الطوابع جعلت بيعها غير محصور بمكاتب البريد فوضعت منها في جملة محلات بحيث يتيسر لكل انسان الحصول عليها

في اي نقطة وخصصت لبيعها المحلات الشهيرة مثل متعهدي بيع المصلح والتبغ و بعض المحلات العمومية المعتبرة التي تفتح يومياً طول النهار وجزءاً من الليل واذا تعذر وجود المحلات فقد يكلف الاجزاخانات او غيرها ببيع هذه الطوابع

والذين يقومون بذلك يأخذون عليهِ اجرةً معلومة من مصلحة البريد اي عمولة عما يبيعونهُ منها ويعطون تعهداً قوياً عن كل امر يخالف شروط الطوابع من جهة فئاتها المقررة وكل ما هو مقرر بلوائحها

ونظراً الى ما ينجم عن ذلك من التساهل قد كثرت هذه المحلات المتعهدة ببيع الطوابع في جميع البلاد المتمدنة حتى ان بعض المصالح اوصلت هذا التساهل الى ضواحي البلاد التي لا يوجد بها محلات تقوم بالمبيع فاصبحت جميع قومسارية البريد والمسفرين والسعاة بالصناديق الآلية التي شرحنا عنها في محلها مهتمة ببيع الطوابع عند الاقتضاء

و يوجد من نوع الطوابع ورق موسوم (مدموغ) يعرف بعلامات الاجر وهو ما يلصق على المراسلات الواردة غير معجلة الرسم او غير مستكملتهِ

وهذا النوع لا يباع منهُ لانهُ مختص باشغال البريد وقد احكم بهذا النوع ضبط ايراد المصالح وعرف الجمهور القيمة التي يجب عليهم دفعها على المراسلات الواردة واول من اتخذ هذه الطوابع بريد ايطاليا في اوائل الربع الاخير من القرن الحالي فاستحسنتها اغلب مصالح البرد واقتدت بها وقد صادف بها مستخدمو البريد في اول الامر صعوبة من بعض العامة وخصوصاً الاميين الذين يجهلون امرها ولم يقفوا على الاعلانات المنشورة بشأنها فكانوا عند ما يطلب منهم قيمة المستحق على مراسلاتهم ينسبون الى الموظف الغلط او الخيانة حيث يظنون ان

هذه العلامات من طوابع تخليص الاجر مقدماً

وكان كثيراً ما يصعب اقناعهم فيطول الجدال بينهم بنوع يضحك منهُ كل واقف على الحقيقة وهي تشبه الطوابع الاعتياديَّة بالقدر ولون الفئة وتخالفها بالرسم والكتابة التي تدل على اختصاصها

وكثير من النـاس يجمع اصناف طوابع البريد بقصد الاكتساب او الافتخار بها فانها تعد كثيرهم والغواة منهم يبذلون كل جهدهم واجراء كل الطرق لاستكمالهم انواعها فيراسلون بعضهم بعضاً من بلاد شاسعة للمبادلة وحصول كل منهم على الصنف المحتاج اليهِ ويقصدون بذلك جمع مجموعة من الطوابع وهذه المجموعات يزيد قدرها كلما كثرت انواع طوابعها واستكملت تسلسل تاريخها وفئاتها

واعظم مجموع تم من ذلك لغاية الآن هو الذي كان في معرض باريس سنة ١٨٧٩ فانهُ كان محتوياً على جميع انواع طوابع البرد من ابتداء اختراعها الى ذاك الوقت وملصوقة في صفحات المجموع بغاية الترتيب والاحكام ومكتوباً باعلى كل طابع اسم حكومة البريد وتاريخ استعمالها وفئاتهِ وقد ابتاعهُ احد الغواة الميسرين بمبلغ مائة الف فرنك

ولا غرو ان مثل هذا المجموع يعد من التحف الفريدة ومثل هذا الثمن لا يعد باهظاً في جنب ما يبذلهُ الطلاب في مشترى الطوابع المتفرقة التي ربما اضطرهم الحال الى ابتياع الطابع منها بمئات من الافرنكات تتميماً للمجموع

والغاية من هذه المجموعات متنوعة فمن غريب ما حكي من هذا القبيل ان عند احد اغنياء الانكليز في الهند مكتبة جدرانها مغطاة من الداخل بطوابع البريد من انواع مختلفة على شكل محكم الوضع وان عدد هذه الطوابع يبلغ

الالوف وقيمتها لا تنقص عن الف ليرة استرلينيّة

وقد شاع جمع الطوابع المستعملة بين العالم حتى صار لهُ في بعض البلاد جمعيّات خصوصيّة ولم يقتصر ذلك على الرجال بل اتصل الى السيدات حتى صار منهنَّ عدد ليس بقليل . ومن اشهر اللواتي اجتهدنَ في ذلك بل فاقت الرجال همة الفاضلة لويزه الالمانيّة رئيسة المستشفى الالماني في مدينة بيروت وهوانها اعتنت بجمع الطوابع الموضوعة على التعاريز والجرائد وارسلتها الى المانيا فبيعت فيها مع غيرها وبني بثمنها كنيسة فخيمة في سويسره

قيل وهي لا تزال تعتني بجمع هذه الطوابع لترسلها الى المانيا وتأمل انها تباع وتبنى بها مستشفى ومدرسة للفقراء

ومن لطيف النوادر ما حكي عن بعض جامعات الطوابع وهو انهُ قدم شاب الى منزل خطيبتهِ يريد وداعها لسفر بعيد لانها لم تقبل زواجهُ فاجابتهُ بغير كدر ولكني آمل انك تكتب لي قال اذن انت تحبيني لانكِ تطلبين مراسلتي فهل رضيت بقراني . قالت تعلم انهُ يوجد جمعيّة تمنح كل فتاة تجمع ١٠٠٠٠٠ ورقة من طوابع البوستة جائزة قدرها الف فرنك وانا لذلك اطلب مراسلتك لازيد باوراقها ما عندي من الطوابع

ويقال ان ديوان عموم اتحاد البرد شارع في اعمال مجموع عمومي منظم من طوابع جميع برد العالم وذلك من ابتداء تاريخ الاتحاد وصاعدًا

وقد جعل للطوابع في هذا العام بابٌ خصوصي في المعرض البريدي الذي اقيم في هولندا ونصيب في المحل الذي خصص للبريد في المعرض العام في باريس كما سبق الشرح عن ذلك في وصف البريد

الفصل الثالث

في رؤساء البريد وعمّاله

غاية ما وصل الينا من اخبار عمال البريد في القديم ان وظائفهم كانت منحصرة في خمس درجات

الاولى الرئيس العام او المدير والثانية امين الخزينة وكاتبها والثالثة رؤساء الخطوط والرابعة رؤساء المراكز والمحطات والخامسة الخيالة والسعاة ثم انهُ مع ترقي البريد في درجات النظام اتسعت دائرة وظائفهِ حتى بلغت درجاتها عدداً عظيماً وهي الآن كما يأتي

مديرون عموميون . نواب مديرين . مستشارون . وافوكاتيّة . واطبا . ومأمورو ادارة عمومية . وسكريتاريّة . ومفتشون . ومأمورو ادارة فرعيّة . ونظار فرق . ورؤساء اقلام . وامين خزينة عموميّة . وعدادون اي صيارف فرعيّة . ومخزنجيّة . ومترجمون . وكتاب . ورسامون . ومصححون . وطباعون . ووكلاء فروع . ومعاونون . ومتوظفون احتياطيون[1] . وقومسساريّة . وقواسة . وحجاب .

(١) العمال الاحتياطيون اي الوقتيون الذين يتولون الاشغال موقتاً بدل اصحابها عند غيابهم في الاجازات الاعتيادية او غيرها وهم اهم لوازم البريد وحاجتهُ اليهم عظيمة لقيامهم بالاشغال الوقتية ويكونون من جميع الدرجات واصناف العمال ليمكن قيام كل منهم محل قرينهُ بالعمل المتدرب عليهِ ويوجد في كل نقطة متفرقة من مراكز البريد الرئيسة عدد كافٍ منهم لتوزيعهم على محل الاقتضاء باقرب وقت

ومصالح البرد تستعد دائماً على عدد وافر منهم يزيد عن العدد اللازم للاحوال الراهنة احتسابا لمفاجآت الامور غير الاعتياديّة لانهُ غير ممكن استخدام اشخاص وقتية يمكنهم القيام بدل المتدربين الاَّ من درجة الخدمة ذوي الاعمال البسيطة

ويستجيه . ومسفرون . وخدامون . وفراشون . وطوافة مراسلات القرى . وموزعو مراسلات المدن . وسعاة نقل خيالة . ومشاة . وهجانة . وملاحون . وساقة مركبات وحمالون وخفراء . ولكلٍّ من هذه الوظائف المتوسطة اي ما عدا الرؤساء العمومية والخدمة الاصاغر درجات مختلفة

وقد ذكرنا ذلك بالاجمال حبًّا للاختصار لان بنوع التفريد تفوق وظائف عمال البريد على المائة وظيفة

اما رؤساء عموم الادارات مثل المديرين ونوابهم فلا حاجة الى وصفهم فان الحكومة نفسها تعتني بانتخابهم من اعاظم رجال بلادها الذين توفرت فيهم الصفات الحسنة والاياقة لهذه المناصب المهمة وقد اعتنى بعض المتأخرين بانشاء كتاب تاريخي تحت اسم الكتاب الذهبي يتضمن تراجم جميع الذين تولوا رياسات البرد وجل اعمالهم العظيمة التي عادت بالفائدة العمومية

اما رؤساء الادارات الفرعية فهم المنفذون لقوانين البريد النظامية التي تسنها الحكومة ويصدرها الرؤساء العموميون ونظرًا لدقة اعمال البريد فعلى الرؤساء الفرعيين واجبات مهمة

اولاً ان يكونوا عالمين بكل انواع اشغال البريد من اقلها الى اعظمها درجة

ثانياً ان يكونوا ذوي حكمة وعدالة تمكنهم من انتظام احوال العمل والعمال لانهُ من المعلوم ان من اعظم الوسائط المساعدة على انجاز الاشغال والتعاضد في انهائها باوقاتها بكل سرعة وضبط هو العدل والمساواة المغروسان من الرؤساء بين المرؤوسين فانهما حائلان مانعان للشقاق والحسد ومساعدان قويان على بث روح المودة وراحة الضمير وبدونها لا تقوم اشغال ولا تنتظم احوال

وقال بعضهم ان الرئيس اذا كان من اهل الاصلاح وقدوة حسنة كان قادرًا ان يطبع في مرؤوسيهِ الاستقامة والاجتهاد بنوع لطيف وقد يثبت ذلك لنا قول الحكماء المتقدمين بأن كثيرين من الرؤساء قد طبعوا في عقول من هم تحت ادارتهم من الاخلاق والمحامد ما فعل بهم فعل الديانة حتى كأنهم انشئوا بينهم ديانة جديدة فانهُ لاشيء يؤثر في الاخلاق مثل القدوة والانسان مائلٌ طبعًا الى الاقتداء بمن حولهُ. نعم ان الانذارات الحسنة تفعل كثيرًا ولكن القدوة الحسنة تفعل اكثر لانها مهذب عامل واعظم برهان على ذلك واوضح مثال ان قائدًا واحدًا من الابطال يقدر ان يلقي في قلب جيش جرار شجاعة غريبة

وقال بعض الحكماء ايضًا من ينذر بكلامهِ وهو فاسد السيرة كمن يبني بيد و يهدم باخرى ولذلك كان اختيار الرؤساء من الموثوق بهم بالاستقامة والرأي الصائب امرًا ضروريًا

والخلاصة ان التأثير لايأتي بالقول بل بالفعل والرئيس لايكفيهِ مثلاً ان يكون كاملاً في اشغالهِ العمومية وناقصًا باحوالهِ الخصوصية لان من كان غير قادر ان يحسن ادارتهُ الخصوصية فكيف يمكنهُ ان يحسن ادارة غيرهِ وان لايكون آلة انذار وتهويل فقط بل يكون بقدوتهِ قلبًا وقالبًا كما قيل

لا تنهَ عن خلق وتأتيَ مثلهُ عارٌ عليك اذا فعلت عظيمُ

وبالاجمال ان الرؤساء الفرعيين هم المعول عليهم في استقامة الاشغال الفرعية والمسئولون امام عموم المصلحة عن كل خلل والفضل يكون عائدًا اليهم في استقامة العمل

اما عمال البريد اي الموظفون العاديون فلما كان ضبط العمل يتوقف

على حالة العامل كان من اهم احوال البريد ايضاً حالة عمالهِ ولذلك واجباتهم تكون اكثر من غيرهم من عمال المصالح الاخر لما ان البريد مصلحة عموميَّة اي لكل فرد من الناس علاقات بها وكون مدار جميع اشغالها على محوري الامانة والناموس ولا نتكلم عن الواجبات العموميَّة مثل الاستقامة والعفة فانها فرض واجب على كل مستخدم بل على كل انسان وانما نذكر واجبات عمال البريد لاشغالهِ خاصة وهو ان الموظف لا يكون كاملاً ومستحقاً ان يسمى بريديّاً ما لم تتوفر فيهِ الشروط الآتية وهي

اولاً ان يكون عارفاً مقدار اهمية المراسلات عند اربابها

ثانياً ان يكون غيوراً على اسرار مراسلات العالم واشغالها غيرتهُ على مراسلاتهِ واشغالهِ

ثالثاً ان يكون نشيطاً ليقوم بانجاز الاشغال الوقتيَّة ولا سيما عند ازدحامها وقصر الوقت المعين لانجازها ومستعدّاً لما تفاجئهُ مقتضيات الاشغال من التنقل من وظيفتهِ الى غيرها او من بلد الى آخر

رابعاً ان يكون متفرغاً لاشغال البريد التي يلزمها المزاولة المستديمة لحفظ ترتيبات المصلحة المتواصلة بين الحل والابرام والملاحظة امور دقيقة تتعلق بالمصلحة العموميَّة فيبقى منتبهاً لما يلقى عليهِ ولكي لا يلتبس عليهِ امر بآخر

خامساً ان يكون رحب الصدر عارفاً باصناف العالم من عالم وجاهل بالاصول وذلك لكي يقابل كل ما يرد عليهِ من الامم المختلفة العوائد والمعرفة فيفيد كل انسان عن طلبهِ

وبالاجمال ان يكون عارفاً بواجباتهِ وحقوق الجمهور وان المصالح جعلت

لفائدة العالم وليس العالم لافادة المصالح هذه واجبات العمال الادبيّة

اما واجباتهم العلميّة فهي

اولاً ان يكون الموظف عارفاً على الاقل لغة اجنبيّة علاوة على لغة البلاد

ثانياً ان يكون عارفاً فضلاً عن القراءة والكتابة فني الحساب والجغرافية

ثالثاً ان يكون لهُ الملم بالقوانين العموميّة علاوة على قوانين البريد الخصوصيّة . على ان كل ذلك لا يكفي الاَّ اذا تبعهُ حسن الخصال الطبيعيّة والميل الخصوصي للقيام بخدمة البريد باعتدال لا يتخللهُ اعوجاج

وعلى ذلك مصالح البريد لا تفتر بظاهر الشخص بل تنظر الى طباعهِ كما قيل

فلا تجعل العلم الدليل على الفتى فما كل مصقول الحديد يماني

لانهُ قد يكون الشخص ممن توفرت فيهِ الشروط المذكورة لكنها غير ثابتة فيهِ فمثل هذا لا يخبع فيهِ تهذيب ولا يرجى منهُ فائدة كما قيل

اذا كان الطباع طباع سوءٍ فليس بنافع فيها الاديبُ

وقد اقتصر بعضهم في واجبات العمال وشخصها بقولهِ البريد جسم رأسهُ الامانة ويداهُ النظام وقدماهُ النشاط

والمصطلح عليهِ الآن في غالب مصالح البرد عند دخول العمال في خدمة البريد ان يلزم كل شخص طالب للانتظام في خدمتهِ ان يقدم اولاً شهادتين احداهما مدرسيّة او ما يقوم مقامها والثانية من اناس معتبرين يستدل منهما على ما حازهُ من العلوم وعن نسبهِ وخصالهِ الادبية ثم يقدم امتحاناً عما يلزمهُ ان يكون عارفاً بهِ اثناء اقامتهِ في خدمة البريد ثم يقدم ضمانة معتمدة [1]

(١) الضمانة تجدد سنويًا وقيمتها عن مبلغ محدود وقدرها بحسب الوظيفة والدرجة الاَّ المستخدمين الاصاغر فليس لضمانتهم قيمة محدودة

وبعد ذلك يقيم مدة في اقلام احد الادارات للتمرين على الاشغال عملياً وذلك تحت المراقبة والملاحظة من الرؤساء والعمال فان وجد بهِ اللياقة المطلوبة يصير تعيينهُ نهائياً في احد الوظائف التي يستحقها والاَّ يعلن بعدم القبول ولا يخفى ما يترتب من الفوائد الاختباريَّة والتعليميَّة قبل اقرار الشخص بالوظيفة حيث اولاً يمكن بها تحقيق لياقتهِ من عدمها وثانياً يكون تحصل على استعداد ممارسة الاشغال بنوع لا يخشى منهُ وقوع الغلط الذي ينشأ عن عدم الدراية اي لا يكون كالذين يتعلمون الطب في اجسام العالم[1]

(١) وفي بعض الممالك قد جعل مدارس خصوصيَّة لتعليم اشغال البريد وهي تكون قسمين

الاول للمترشحين للرئاسة وهم النابغون بالعلوم

والثاني للعمال ولها قوانين مستوفية نحو حالة الاشخاص الطالبين الدخول بها ومعارفهم ومدة التعليم اللازم للاشغال وما اشبه

وكل ثلاثة اشهر يجري بها امتحان عمومي للذين تم تعليمهم وفي بعض المدارس يكون الامتحان كل ستة اشهر واول مدرسة من ذلك انشئت في المانيا سنة ١٨٨٥

على ان رؤساء هذه المدارس يلاحظون في اوقات التعليم وعند الامتحان ميل التلميذات الى نوع الشغل فيأمرونهُ بمعاطاتهِ والانصباب عليهِ اتباعاً لاصطلاحات مدارس الفنون والقواعد الطبيعيَّة حيث علم ان غالب المتعلمين اذا لم يكن جميعهم لا يبرعون بأكثر من فن واحد

مثلاً البارع في الانشاء لا يكون بارعاً في الحساب ولا النحوي يكون شاعراً ولا الصانع يكون اداريًّا وهلمَّ جرًّا ولما كانت اشغال البريد جامعة بين دقة العمل وسرعتهِ لوحظ انهُ لا يتسنى القيام بحقها تماماً الاَّ اذا جعلت مصالح البرد لكل عمل موظفين خصوصيين يعنون بهِ فيتحصل كل متوظف على براعةٍ في عملهِ تمكنهُ من القيام بهِ طبق المرام وذلك بحسب اصول الملاحات الادارات الصناعيَّة ايضاً اذ قد تأكد ان العامل بها مع ضبط صنعتهِ يأتي بسرعة تدهش العقل حتَّى يخيل للرائي ان عملهُ ضرب من السحر

ثم انهُ بعد هذه الاجراءات الدقيقة التي مرَّ ذكرها واقرار الشخص بالوظيفة ان ظهر بهِ اعوجاج فحالاً يوقف عن العمل واذا ثبت عليهِ بعد التحقيق

من ذلك صنع الابرة مثلاً فان كل من تاملهُ يجد منهُ برهانًا كافيًا على ان تقسيم الاعمال يقصرها وتوزيعها يجعلها بسيطة وان في اقتصار الصانع على عمل واحد اقتصادًا عظيمًا وتسهيلاً للاشغال ويكثر الحذق بالاعمال حتَّى ان صانعًا صغير السن يقدر ان يثقب في الساعة اربعة آلاف ابرة واحدة فواحدة ومن ذلك قولهم من انقطع لشيء اتقنهُ

وعليهِ فقد رأت مصالح البرد انهُ لايصح استبدال الموظف الاَّ بقرينهِ في العمل حتَّى يتمكن من انجازهِ وضبطهِ بلا خلل ولا ارتباك لانهُ من المعلوم ان انعكاس حركة الفكر وتحويلهُ من جهة الى اخرى تضعف قوتهُ الحاكمة على اعضاء العمل ولا يظن ان هذه الطريقة تؤخر ترقي الموظف عن التدرج في الوظائف لان القوانين العادلة في هذا الزمان لاتحرم الموظف المحقق للترقي في اي وظيفة كانت على قدر استحقاقهِ ولان لكل عمل صنعة وبراعة

واسم العمل ليس دليلاً كافيًا على علو المرتبة وانحطاطها بل ان المكافأة تكون على قدر البراعة بالعمل لانهُ كم من عامل في مهنة حقيرة يتناول اجرة اكثر من موظف في صنعة رفيعة وما ذلك الاَّ لبراعة الاول اكثر من الثاني

ثم ان الترقي اقرب للموظف بهذا الترتيب حيث يمكنهُ من الحذق في وظيفتهِ باقتصارهِ على نوع واحد من العمل وان اهليَّة الموظف لايخفيها نوع العمل اذا كان من ذوي الاستعداد لوظيفة اعلى

وكل من اطلع على احوال الامم يجد غالب الذين ارتقوا المناصب العالية كانوا في اول امرهم من الموظفين في الاعمال البسيطة

وان مصلحة البريد نفسها لا يوافقها تاخير تقدم الموظف ومكافأة الذي يظهر الحذق والبراعة لانها تعلم ان آماله تنعكس وبصيرتهُ تظلم فتحرم المصلحة من الموظفين الاكفاء الذين تستفيد بخدمتهم

وبهذه الطريقة اي توزيع الاعمال على العمال تكون الفوائد عمومية مشتركة اولاً للجمهور لانهم يحصلون على طلبهم من حيث تسهيل العمل وضبطهُ وثانيًا لمصلحة البريد لانهُ

امرٌ مخل بقوانين المصلحة يعاقب او يطرد نعم انهُ يصعب وجود جميع الموظفين في درجة واحدة من الكمال ولكن دوام الملاحظة من المكلفين بها يجعل في

تبراعة العامل يمكنها اقتصاد العمال اذ الموظف البارع يقوم مقام الموظفين او اكثر وثالثًا للموظف نفسهُ لانهُ يتمرن على عملهِ ويتقنهُ حق الاتقان

وفي بعض هذه المدارس يكون للامتحان محفل حافل من روساء المصلحة تجول في ميدانهِ المحاورات المناسبة للمقام وتروج في سوقهِ الخطب المفيدة ثم ينفرد مدير المصلحة العام ورؤساؤُها برهة من الوقت ويخرجون ثانيةً ويجلسون في محلاتهم ثم يضع السكرتير على المائدة التي تكون امام المدير العام خطابات التعيين فياخذ المدير العام منها الخطاب بيدهِ وينادي المعنون باسمهِ ويسلمهُ اليهِ باحدى يديهِ. ويصافحهُ بالاخرى مهنئًا اياهُ بكلمات لطيفة مشجعة مثل اسأل لك التوفيق والارتقاء في مراقي السعادة واطلب اليك ان تسعى الى نيل ما تتوق اليهِ بخدمة ترضي كلًّا من المصلحة والجمهور ثم ياخذ بيدهِ الخطاب الثاني ويفعل بهِ كالاول وهكذا الى آخر اسماء الذين استحقوا الدخول في الوظائف وقد اثرنا ترجمة واثبات احدى الخطب التي القاها احد مديري البرد على التلامذة الذين استحقوا الدخول في خدمة البريد بعد الامتحان وهي

اولادي الاعزاء اخاطبكم بقولي اولادي الاعزاء لاني اقوم فيكم خطيبًا كوالد نصوح لاكرئيس آمر حيث انني على مسامعكم امورًا جوهريّة لا تنقص فائدتها الخصوصيّة نحوكم عن الفائدة العموميّة نحو الجمهور فارعوني سمعًا رعاكم الله

بعد ان تممتم علمكم اللازم لاشغال مصلحة البريد قد رأيت قبل خروجكم من حيز العلم الى حيز العمل ان ازودكم شيئًا من خلاصة ما جربتهُ طول العمر وابتعتهُ من الدهر باعظم الانعاب واغلى الاثمان فاقدم ذلك اليكم في برهة هذا الاجتماع جوهر هذه الخلاصة كهديّة ثمينة لتذكركم اهم ما يلزمكم في طريق اشتغالكم بالبريد خوفًا من ان تسكركم خمرة سرور الفوز بالوظيفة او يغركم نقش دراهم رانها فتنسوا واجباتكم المهمة فاقول وعلى الله الهداية وبهِ التوفيق قد تعلمتم قواعد اشغال البريد وقوانينهُ الخصوصيّة فلا حاجة لان اورد الآن شيئًا منها بل اكتفي بالقول انهُ بقي عليكم بعد ذلك معرفة الواجبات العموميّة لان حاجة الموظف اليها ليست دون حاجتهِ الى العلوم المدرسيّة ان لم نقل

المصلحة نوعاً من التحليل الدائم فيرسب السليم و يطرح الفاسد خارجاً وهذا كافٍ لان يجعل في مصالح البريد عدد كافياً من المتوظفين اللائقين بل قد

اكثر للذي يخرج نوّا من حجر المدرسة الى الاستخدام لانهُ لا يمارس اشغالاً عموميّة تضطرهُ الى مخالطة العالم ومعرفة واجباتهِ وحقوقهُ منهم وكيفيّة السلوك بينهم باكتساب طبيعي كما يتم لغير موظفي المصالح

اعلموا انكم مقبلون على عمل مهم لا يقوى على حملهِ الاّ القليل وعلى ذلك اشبه الداخل في خدمة البريد كالداخل في خدمة الدين الذي يقال فيهِ خيرٌ للانسان الذي لا يقدر على القيام بواجباتهِ ان لا يدخلهُ كي لا يخرج منهُ مخذولاً مرذولاً

اعلموا انكم لا تخدمون مصلحة بل البلاد واهلها فان خدام البريد هم خدام الامة الامناء المحافظون على امانتها فمن يخدم البريد بامانة لا يعدم جوائزهُ ولا يخشى انصرام حبل نوالهِ منهُ لان البريد ليس من المصالح الوقتيّة بل من المصالح المؤسسة على صخرةٍ فهو دائم مع دوام العالم حيث ليس لاحد عنهُ غنًى

اعلموا ان عيون العالم رقيبة على اعمالكم وألسنتهم تنطق عليكم في كل آن بالرضا او السخط بحسب ما تستحقون

ثم اقول لكم ان كثيرين من عمال البريد يعتمدون على براعتهم وذاكرتهم اكثر مما يجب فيتورطون الى حدود الاغلاط فاوصيكم بالحذر من ذلك فلا تجيبوا احداً الاّ بما انتم واثقون والاّ ابحثوا عن طلبهِ بتأنٍّ منعاً للغلط فان الانسان عرضة للنسيان مثال ذلك القول لطالب الرسائل ليس لك شيء فان هذه العبارة خفيفة على اللسان لكنها كالجبل ثقلاً والعلم مذاقاً على من يقع في غلطها

اقسم لكم بالشرف اني لم اقع في خطإٍ هذا الامر طول مدة خدمتي غير مرة واحدة جرني اليها شاغل عظيم ومع مداركتي لهذا الخطإ بما امكنني من السرعة وابديتهُ من الاعتذار قد لحق بي منهُ تأثير عظيم لا يزال اثرهُ محفوظاً في فؤادي الى الآن حتّى اني اتذكرهُ كاني وقعت فيهِ بالامس

اعلموا ان الرسائل ليست رواياتٍ هزليّة او احاديث خرافيّة بل جلها ان لم اقل كلها ذو اهمية عظيمة فكم من رسالة تبيت عيون ساهرة لانتظارها وقلوب متلهفة لورودها فمن

صار يوجد بينهم اشخاص عديدون توفرت فيهم جميع الشروط اللازمة حتى كأن اصل طبيعتهم جعلت لهذا العمل فصاروا قدوة لكثيرين وفخرًا لاقرانهم والمصلحة ايضًا

الناس من يكون منتظرًا اطمئنانًا عن عليل او غائب ومنهم لاسعاف مريض او غريب او متضايق ومنهم لخدمةٍ او قضاء مصلحة ومنهم لبيع او شراء وغير ذلك مما لا يسعني شرحهُ لاختلاف انواعهِ باختلاف احوال العالم وتقلبات الدهر

وانما اقول بنوع الاختصار انهُ ربما نشأ عن ضياع اقل فرصة في المراسلات ضررٌ لا يقدر فلا تتهاونوا بأي رسالة فان لكل انسان حاجة من رسالتهِ بقدر حالهِ

اقول لكم ان المراسلات كالاجسام وان اختلفت منظرًا فالنفوس واحدة فلا تفتروا بتفاوت هيئتها وحالة اربابها لان اهميتها متساوية في الدرجة عند كلٍّ منهم فكونوا كالاطباء الذين يشعرون بعظم الم العليل وحاجتهِ ومتى تحصلتم على هذه الخاصيات اصبتم الغرض المقصود فتعرفون حقيقة البريد واحتياجاتهِ فان البريد ليس صنعة علميَّة فقط بل حسيَّة ايضًا تستدعي اعمال الفكرة وتوبيخ الضمير كفروض الدين الشريف الذي يأمر بالامانة والعفة وما اشبه وبجملة ان بريد الانسان لغيرهِ كما يريد لنفسهِ وهذه الآية اعظم مرشد لضبط كل وظيفة ايضًا ولا سيما البريد فانها تنطبق عليهِ تمام الانطباق

لان الانسان متى اوقف نفسهُ عمل غيرهِ وتصور حاجة الآخر محل حاجتهِ عرف قدرها واعتنى بانهائها بلا ابطاء

ليس البريد كغيرهِ قانون يوجب على الموظف ان يحلف اليمين على الامانة والصداقة بل ذلك موكولٌ للتجارب فانهُ لا خفيٌّ الاَّ سيظهر ولا بد لكل انسان ان ينال جزاء اعمالهِ عاجلاً او آجلاً ثوابًا او عقابًا والامور مرهونة باوقاتها

تشددوا بعزم ووجهوا انظاركم الى طريق الاستقامة المؤدي الى التقدم حيث تنفعون انفسكم وابذلوا الجهد حتَّى تكونوا ممن يقتدى بهم وليسوا من المقتدين

افتخر بان اقول لكم اني قبل ان اصل الى هذه الدرجة قد تنقلت في اكثر وظائف البريد فكنت كعسكري بلغ درجة جنرال تدريجًا ولم يكن لي معين على ارتقائي بعد المولى الاَّ اعتنائي واتقاني العمل بالوظائف الحقيرة كالعظيمة

ومما يليق ايرادهُ هنا مثالاً لما ذكر أن بعضهم سأل احد رؤساء مصالح البريد قائلاً ارى معدل الذين يثبتون في خدمة البريد قليلاً بالنسبة لغيرهم فاجابهُ لم ارَ جواباً على ذلك احكم من قول سيدنا عيسى عليهِ السلام ان المدعوين كثيرون واما المختارون فقليلون ولا شك انهُ لولا دقة المصالح في انتخاب العمال ما استقام حال البريد

ومن ذلك يعلم ان شرف المصالح وقوامها يقومان بعمالها لا بالمصالح نفسها كما يتوهم بعض المغرورين وما احسن قول الشاعر في هذا المعنى

اذا لم يكن صدر المجالس سيدًا فلا خير في مَنْ صدرتهُ المجالسُ

وقال بعض العلماء ان الاعتبار بتأتي مكافأة من الغير لمستحقهِ وليس بالاتفاق والتكلف

ومما يحكى عن بعض موظفي البريد انهُ جاءهُ رجل يطلب استرجاع مراسلة وضعت في صندوق البريد فاجابهُ يقتضي ان تجري كذا وتكتب كذا فقال لماذا وانت تعرفني جيدًا فاجابهُ ان ذلك قانون عمومي فقال نعم ولكن من هنا يلاحظ عليك فاجابهُ الامين من كان رقيباً على نفسهِ فافحم الرجل بهذا الجواب وتعجب من هذه الصداقة

فلا توقفوا همتكم عند حد درجتكم بل افسحوا الامل للعالي ولا يعترينكم ملال في طلابها فانهُ لابدَّ لكل مرتق من التعب ولا بد دون الشهد من ابر النحل

واعلموا ان ليس في طريقكم اقل عثرة تؤخركم عن نيل الامال الحسنة فانتم في عصر التمدن وابناء بلاد الحرية وخدمة مصلحة امينة حريصة على العدل والمساواة هذا ولي الامل بانكم تكتفون بما القيت عليكم بوجيز العبارة واللبيب تكفيهِ الاشارة والله اسأل ان يجعلكم غرسًا صالحًا لخدمة المصلحة ونفعًا للعموم ويجعل اعمالكم ثمرًا مفيدًا لنجاحكم وتقدمكم والسلام

وحكي عن آخر ترقى الى مركز اداري فبعث اليهِ احد اصحابهِ تهنئة يقول في آخرها اني اهنئ نفسي بذلك ايضاً لحصولي على سند يكون حافظاً لي وقت اللزوم (يريد بذلك مساعدتهِ والمحاماة عنهُ عند وقوع امر مخالف منهُ)

فاجابهُ عن عبارتهِ هذه بعد الشكر على التهنئة اني اسرُّ اكثر بل افتخر باحبابي اذا كانوا في غنى عن مساعدتي التي ربما تكون سبباً لحرماننا بعضنا من بعض او من مركزنا وخير للانسان ان يتكل على الله وحسن العمل لا غير

وغير ذلك كثير مما يبرهن على الميل الطبيعي لضبط اعمال البريد العظيمة فمثل هؤلاء الصادقين يحق ان ينعتوا بملح المتوظفين وخميرتهم لان الواحد منهم قادر على اصلاح عمال مصلحة برمتها

وقد اقتصرنا على ايراد ماذكر انموذجاً وتجنبنا ذكر اسماء المعلومين لنا من هؤلاء الامناء الغيورين كي لا ينسب الينا ميل خصوصي ولئلا يعد كلامنا من قبيل المدح الشخصي حيث انهُ ليس من ذكر اعمالهم الاطناب بعمال البريد فان في كل مصلحة رجالاً يفتخر بهم وانما ذكرنا ما تقدم لنبين انهُ كما ان تقدم الممالك يتوقف على افراد رجالها كذلك تقويم المصالح يتوقف على استقامة افرادها

وكما ان مصالح البريد لا تأسف على طرد الخائن فهي تكافئ الامين وتنيلهُ استحقاقهُ وتحرص على بقائهِ حرص المقتار على الدينار كما قيل

تمسك ان ظفرت بذيل حرٍّ فان الحرَّ في الدنيا قليلُ

وذلك لاحتياجها الى من يعمل مشيئتها اكثر من غيرها ولا سيما لعلمها بأنهُ لا يتيسر استخدام من توفرت فيهِ الصفات اللائقة بدون اعطائهِ استحقاقهُ

ولو اتفق وجود ذلك احياناً لحاجة اضطراريّة في الشخص لكن تكون اشغاله بتكلف اي بدون اخلاص تام ورغبة صادقة

ومصلحة البريد تؤاخذ العمال على اقل خطاء او اهمال فتحاسبهم عليه وذلك تداركاً لتكرار وقوعه وخشية ان يكون مقدمةً لاعظم منه كما قيل من تغاضي عن الصغائر لا يسلم من الكبائر حتى ان اكثر الادارات تنشر معدلاً سنوياً عن انواع الاغلاط (١) التي وقعت من كل جهة للاهتمام بتقليلها ولذلك يكون العمال دوماً على اشد الحذر حتى صار عندهم قلة الغلط من اعظم مفاخرهم

من ذلك ماذكره احد مفتشي البريد قال بينما كنت ذات يوم ابحث عن امرٍ ذي بالٍ يختص بالاشغال نظرت ثلاثة من عمال المصلحة واقفين يتحدثون معاً فملت نحوهم رجاء ان استطلع شيئاً من امرهم ودنوت منهم بحيث اسمع كلامهم ولا يروني ولما وجدت انهم يتحدثون بمتعلقات الاشغال انصتُّ الى ما يقولون واذا احدهم يقول ان المصلحة لم تحاسبني في هذا العام ولله الحمد الاَّ على بعض غلطات لا تتجاوز ثلاثاً

فقال الثاني انا اسعد منك حظّاً فان غلطاتي لم تزد عن الاثنتين فاجابهم الثالث بقول يعلوه الافتخار لا بل انا اكثر منكما حظّاً فاني لم احاسب على شيء

(١) يوجد في كل مصلحة بريد قوانين خصوصيّة لكل غلط او مخالفة تصدر من المستخدمين وبنودها كثيرة تختلف في شدة الجزاء باختلاف الغلط او الذنب وحالة الشخص وسوابقه وهي تنقسم عموميًّا الى ستة انواع . ايقاظ وغرامة نقديّة . او بواسطة استقطاع ايام معلومة منه وانذار رسمي . وتنزيل درجته وتوقيف عن الاشغال ورفت . انما النصف الاخير من انواع هذه الجزاءات غالباً لا يتوقع الاَّ بتقريره من مجلس التأديب العام اذا كان في البلاد مثل هذا المجلس

في هذا العام مع اني قد غلطت اكثر منكما فاجاباهُ متعجبين وكيف ذلك فقال لان حذري الزائد كانهُ قد جعل بي ملكة تنبهني الى كل غلطة فاسرع باصلاحها قبل ان يتجاوز العمل يدي حتى اوشك ان يكون لي ذلك طبيعة ثابتة ثم اردف عبارتهُ بقولهِ ليس السعيد من يقول لا اغلط فان كل انسان عرضةٌ للغلط والنسيان

وانما السعيد من يتنبه الى غلطهِ فيتداركهُ فقال المفتش في سرهِ لله درك من فطن وذهب في سبيلهِ

ولما كان الشيءُ بالشيء يذكر رأينا ان نورد هنا ما جاء عن بعض عمال البريد الذين نالوا الترقي بجدهم واجتهادهم وحق لهم ان يكونوا قدوة لكل موظف وذلك ان بعضهم سأل احد رؤساء البريد كيف وصلت الى هذه الدرجة فاجابهُ بقولهِ اني كنت احسب نفسي كأني اشتغل وحدي وليس لي معين اي أن انجاز اشغال العمل وضبطها مطلوبان مني دون روسائي وزملائي

اما اوقات اشتغال العمالَ فليست على معدل واحد بين الجميع بل هي تتبع حال الوظيفة والمركز وموافقة سفر البريد وورودهِ والمصلحة العامة وبالاجمال ان اشغال العمال يوميةٌ متواصلة بين الليل والنهار بدون انقطاع كأنها متعلقة بدوران الفلك ومن شدة محافظتهم على الوقت والحذر من الاخلال قد يتخذ غالبهم الساعات المنبهة في جميع اوقات راحتهم ونومهم التي يقضونها غالباً في قلق وارق

ومن ذلك يعتادون التجلد والصبر على الاشغال الطويلة والمحافظة على الوقت حتى انهم ينطبعون على ذلك

قيل سأل بعضهم احد العمال كيف تجلدت على هذه المحافظة فاجابهُ لاني احسب نفسي اني خلقت لهذه الاشغال

وكثيرًا ما يكون عمال البريد بارعين في حل الخط السقيم لتمرنهم على انواع الخطوط المختلفة التي تمر عليهم

وللبارعين في اشغال البريد الادارية شهرة عظيمة كثيرًا ما تؤهلهم الى ارتقاء المناصب العالية في ادارة البريد او مصلحة غيرها تكون في احتياج اليهم لما يحوزونهُ من شهادة الاختبار العظيم في اشغال البريد الكثيرة التعلقات بين البلاد والعباد

واما خيالة البريد والسعاة المعروفون بالرسل ففي كل زمان ومكان ينتخب منهم لنقل البريد الرجال الاشداء ذوو الجلد المتمرنون على الركوب والعدو

واشهر خيالة البريد التتر وهم المستخدمون لنقل البريد في داخلية الممالك العثمانية حتى صار يطلق بها اسم تتري على كل خيال حامل رسائل ويليهم في الشهرة خيالة العجم اي الفرس فانهم يقاربونهم في النشاط والتجلد على السفر الطويل حتى في المسالك الوعرة

وكانت بعض ممالك اوربا تتخذ خيالة البريد من فرسان الجيش المرفوتين وتخصص لهم سلاحًا وكسوة غاية في اللباقة

اما السعاة فاشهرهم الصينيون فان الواحد منهم قادر ان يستمر في المسير جملة ساعات وهو حامل قدرًا عظيمًا من المراسلات بلا كلل ولا ملل

ثم يليهم المصريون ومن الغريب ترى الكهل منهم يجاري الفتى في العدو

المستمر وما علة ذلك الاَّ ما يكتسبونهُ من القوة الجسديَّة المتولدة فيهم من الرياضة الطبيعيَّة في اشغالهم المتعبة

اما قوانين عمال البريد من جهة الاحكام والمعاش الوظيفي والتقاعدي والاجازات[1] فهي حسب قوانين باقي عمال المصالح الميريَّة الاَّ ان بعض

(١) الاجازات هي الفرص القانونيَّة الَّتي تعطى سنويًّا للموظفين للراحة من انصاب السنة وفائدتها غنيَّة عن البيان واول ترتيبها بالمصالح كان في اوربَّا وكانت محصورة بالمتوظفين في الاعمال المستديمة فقط وبعد ذلك سرت شيئًا فشيئًا لغيرهم بنوع المساواة او لاسباب اخرى لامحل للبحث عنها هنا

وقد قررتها اكثر الحكومات المتمدنة او جميعها وجعلت لها لوائح رسميَّة وقوانين ثابتة اهمها ان يكون بين اجازات الموظفين في مركز واحد فترات تمكنهم من التناوب في مدة الاجازات اذا كان عددهم كافيًا اي يغني عن طلب موظفين وقتيين من مركز آخر

وانهُ في حال انتهاء الاجازة يكون الموظف حاضرًا في محل اشغاله وانهُ اذا طرأ عليهِ امر غير اعتيادي اوجب تاخيرهُ يضطر ان يعلن المصلحة حالاً ثم يقدم الاثباتات الكافية على صحة ذلك والاَّ يقع تحت طائلة العقاب

اما مدة الاجازة فتختلف باختلاف قوانين البلاد ودرجة الموظف والاجازات في بعض البلاد حق شرعي ولا سيما للمتوظفين بالاشغال الوقتيَّة اي المستديمة العمل

ومن تأمل في هذه الحقوق يرى انها ممنوحة عن حكمة وذلك من جملة وجوه اولاً تكون الحكومة قد استعملت العدل والانصاف بالتعويض على الموظفين براحة مدة كافية عن مدد انعابهم المتواصلة ويكون لهم ايضًا مدة كافية يتمكنون بها من القيام بمقتضيات علاقاتهم الخصوصيَّة اذا كانت في بلد آخر او العائليَّة اذا كان في غربة وغير ذلك ممَّا لا يخلو منهُ كل انسان

ثانيًا يكون الموظفون قد حصلوا بذلك على صحة تمكنهم من اطراد العمل بنشاط واتقان

ثالثًا تكون الحكومة قد راعت صحة شعبها العموميَّة وهذا هو الاساس العام وعلة

الحكومات جعلت لهم بعض امتيازات خصوصيّة نظير صرامة اشغال البريد وما عليهم من المسؤوليّة والواجبات العموميّة والخصوصيّة فانهم لا يقاسون بغيرهم لقاء ما يعانونهُ من قضاء عمرهم في مشقات مختلفة بين غربة [1] تحجبهم عن الاهل

اعطاء حق الاجازات بنوع رسمي لان مجالس الصحة العموميّة في البلاد المتمدنة تراعي مفردات الاسباب التي تضر بصحة اهل البلاد وتجتهد في منعها لتحسين صحة الشعب وذريته ولها الراي النافذ في ذلك حيث قد جعل اهل الشريعة والسياسة الاحكام الصحيّة قسمًا من الاحكام المدنيّة حتّى صار بعض قوانينها من الامور الجبريّة ايضًا

وكل من اطلع على هذه القوانين وانواع الرياضات التي اوجبتها وسجلاتها والمعدلات التي تصدر عنها في اوربا يعلم نتيجة التحسين التي ظهرت بهذه الوسائط وبناء على التقارير التي تتقدم للحكومة ولا سيما من الاطباء المخصصين للمصالح الذين هم لها بمثابة الطبيب العائلي قد قررت الحكومات حق هذه الاجازات حيث علمت بانهُ كثيرًا ما ينشأ امراض الموظفين وضعف بنيتهم من سأم النفس وانتهاك الجسم لمواصلة العمل على منوال واحد

حتّى ان بعض الحكومات لاترى من العدالة الاستقطاع من مدة اجازة الموظف الايام التي قضاها في المرض ما دام ثابتًا ان مرضهُ امر قهري ويستوجب الانقطاع عن الاشغال ولان مدة المرض قد يكون قضاها في الم وضجر ولان حرمانهُ من التمتع بمزية الاجازة وهو بحالة الصحة ما يزيد في بلواهُ وربما اضطرهُ ذلك لمعاطاة اشغالهِ قبل شفائهِ خوفًا من حرمانهِ من الاجازة التي هي سلوانهُ بل دواؤهُ الوحيد ولان هذا التضييق ربما يكون سببًا لانتكاس مرضه ومعاودتهِ لهُ ولان الحكومة لايمكنها الحصول على موظفين من ذوي اللباقة يقبلون على الاسر المستديم بالاشغال عن طيب خاطر

والاجازات ليست في كل البلاد على نظام واحد وخلاصة القول فيها ان نظامها ونفوذ قوانينها يكون بقدر عدالة البلاد وانتظامها ونفوذ الاحكام الصحيّة فيها

(١) لانهم اكثر مستخدمي المصالح تغرُّبًا وذلك بسبب تفرق مراكز البريد في البلاد وبالاخص الموظفين الاحتياطيين والقليل من مستخدمي البريد بل النادر الذي يتصادف وظيفتهُ في نفس بلدهِ

والاوطان واسفار طويلة تجعلهم عرضة للامراض والاخطار ومواقيت مربوطة تحرمهم من ترويح النفس وتجديد نشاط الجسم بحسب القواعد الطبيعيّة

فمنهم من لا يرى اهلهُ الاَّ كل عام او اكثر ومنهم من يبقى متحملاً الامراض والاخطار الى حين وصول من يستلم وظيفته ومنهم من لا يذوق لذة الاعياد والمواسم الدينيّة وغيرها من الاحتفالات العموميّة ومنهم من لا يعرف منزلهُ نهارًا فيدخلهُ ليلاً ويخرج منهُ قبل بزوغ نور الصباح وبالعكس اي يكون نهارهُ ليلاً وليلهُ نهارًا

ومنهم مَنْ لا يقوم بفروضهِ الدينيّة في اوقاتها ومنهم من راحتهُ متقطعة بين ساعات قليلة عديمة البركة لا يتمكن بها من تمام راحتهِ اوقضاء لوازمهِ الخصوصيّة وغير ذلك مما يطول شرحهُ

ولا يخفى ان عيشة الانسان على منوال واحد من اصعب الامور لمخالفتها قوته البشريّة والنواميس العامة توجب تخلل ايام الاشغال بالبطالة

حتى ان الحكماء الطبيعيين اقروا على استصواب البطالة في ايام رؤوس الاسابيع والاعياد العموميّة وقالوا انها مرتبة على حكمة عالية عارفة بجبلة الانسان ولولا ذلك لضعف نوعهُ من ملل الاستمرار

ونرى من ذلك اعظم مثال في العالم الطبيعي كدوران السيارات وتعاقب الحر والبرد والنور والظلمة والتركيب والتحليل مما يدل جميع ذلك على احتياج النوع الانساني للتغير والتبديل لتجديد روح القوة فيهِ فمن كان في اشغال البريد محروماً من التمتع بتمام مقتضيات الحياة الضروريّة لا شك انهُ يستحق الامتياز والمكافأة ليكون على الاقل لهُ من احد الوجوه فرج يقويهِ على القيام

نواجباتهِ التي يلزم لاتمامها اراحة الضمير

ومن حظ عمال البريد ان الاعمال تزداد عليهم في ايام الاعياد والمواسم الى درجة لاتدعهم يتمكنون من التناوب بالاشغال بل يلتزمون ملازمة الاشغال اكثر منها في اوقاتها الاعتياديّة

حتى ان بعض المصالح تضطر الى استئجار عمال وتسمين فرق العادة للمساعدة وذلك ناشئ من كثرة مراسلات التهنئة بالمعايدة والهدايا الخصوصيّة المعتاد مبادلتها في الاعياد بين غالب الامم وكذلك في رؤوس الاسابيع كايام الآحاد وغيرها حيث غالب العالم تكون متفرغة من اعمالها العموميّة فتنتهز الفرصة لانهاء لوازمها الخصوصيّة

ولا يخفى تأثير المتوظفين عند اسرهم والزامهم بالاشغال وتعبهم الطويل في سبيل مسرة غيرهم وحرمانهم من مزيّة ايام لا تعوض بينما يكون غيرهم راتعاً في بحبوحة الراحة والحبور

وما الفرق بين هؤلاء العمال في هذه الاحوال وبين سواهم الاّ كالفرق بين الحارس الساهر على الحفظ والامان وبين النائم على فراش الهناء والاطمئنان

اما سكن عمال البريد فيختلف باختلاف المركز والوظيفة فتارةً يسكن في احد اقسام البناء المعد للبريد على نفقة المصلحة وتارةً يسكن خارجاً عن بناء البريد اما على نفقة المصلحة او على نفقتهِ

والذين يسكنون على نفقة المصلحة هم في الغالب رؤساء الفروع والمكاتب ونوابهم او معاونوهم فقط وقد جرت العادة في بعض البلاد ان تبني المصلحة اوخزينة البريد الاقتصاديّة ابنية خصوصيّة لتؤجرها لعمال المصلحة الذين

ليس لهم سكن مجاناً . وذلك اولاً تسهيلاً لوجود المحلات الموافقة لهم في كل وقت ومجاورتهم بعضهم لبعض ومعرفة محل كل منهم وقت الاقتضاء وثانياً لانتفاع خزينتهم الاقتصاديّة بالايجار

وفي بعض مصالح البرد مراسلات عمالها الخصوصيون معفون من الرسوم في جميع الجهات الداخليّة وفي بعضها تعامل كمراسلات الافراد وفي الغالب يعفى الرؤساء فقط من الرسوم

وقد خصص لعمال البريد في اكثر المصالح صناديق اقتصاديّة يدخر بها كل مستخدم ما يمكنهُ من النقود لوقت الحاجة وهذه المبالغ تودع بالربا في اماكن مأمونة او يتاجر بها اصناف مضمونة يتجر بها وتعود على اصحابها بالارباح والمكاسب

وفي مصالح البريد عدا عن ذلك صناديق خصوصيّة لمساعدة المحتاجين من الخدمة وتربية ايتامهم والسعي في تحسين حالهم وصناديق احتياطيّة ايضاً المرضى من العمال والخدمة الّذين هم في حاجة الى المساعدة

ولكل من هذه الصناديق قوانين مستوفية الشروط جامعة بين السهولة والضبط

ولعمال البريد علامات خصوصيّة يتقلدونها وهي اصول مرعيّة في مصالح البريد منذ القديم وذلك تميزاً للعمال بنوع جامع بين اللياقة والمهابة وكانت علامات بريد الرومانيين قطعة من البرنز بقدر الريال منقوش عليها اسم بوسنة

واتخذت هذه العلامات في بريد فرنسا على عهد لويس الحادي عشر فكان الموظفون يلبسون ملابس خاصة بهم مكتوباً عليها اسم البريد باحرف

مزركشة بالقصب وكان الخيّالة يعلقون قطعاً من البرنز منقوشاً على احدى صفحتيها صورة ملفّات اوراق مربوطة ومحمولة على فرس . وعلى الصفحة الثانية العبارة الآتية "هذا الذي يسابق الطير والريح جرياً" وكذلك علامات السعاة المشاة الاّ انهُ لم يكن عليها رسم حصان . ثم لما جاء نابوليون الاول امر ان يتقلد الموظفون نوعاً من السلاح الابيض اللطيف وكان للمسفرين والسعاة في بريد الاسبانيين علامات خصوصيةٌ من حبال معقدة يتخللها قطع من البرنز مكتوب عليها اسم البريد ووظيفة الرجل

وقد اتخذ العرب العلامات لرسل البريد في عهد الخلفاء العباسيين وكانت علامتهم قطعةً من الفضة بقدر الكف قد كتب على احدى صفحتيها البسملة واسم الخليفة وعلى الصفحة الثانية هذه الآية وهي (انّا ارسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا)

وكان لناقلي البريد في دولة المماليك بمصر ما يشبه هذه العلامات وهي مذكورة في البريد المصري من الباب الثاني

وكان اكبر علامات عمّال البريد في الفرس كساء خيّالة نقل البريد وهو قباء طويل احمر اللون معلّم بشريط ابيض وقلنسوة طويلة من الفرو الناصع البياض فكان العمال يظهرون بها بهيئة تبهج الناظرين

وكانت ملابس السعاة في فرنسا في سالف الزمن اتقن الملابس واحسنها واما علامات عمال البريد الحالية فمتنوعة بين ملابس وبعض قطع خصوصيةٌ ففي بعض المصالح قد خصص بالعمال ملابس يتميزون بها عن غيرهم باللون وببعض الرسوم من شريط قصب مذهب او من الصوف وكان اسم البريد

على المكافأة والترقي في الوظائف

وعدد الاناث في خدمة البريد اكثر منهنَّ على العموم في جميع المصالح الميريَّة وبلي البريد في كثرتهنَّ مصلحة التلغرافات

ويظهر ان عدد المستخدمات في البريد آخذ في الازدياد المستمر كما سبق القول ولا عجب فانهنَّ الآن يزاحمنَ الرجال في اهم الاشغال حتى في التي يقتضي فيها المحافظة على الوقت كالبريد

الفصل الرابع

في اتحاد البريد

ويعرف بالمعاهدة البوستيَّة الدوليَّة وهو من اهم ما تمَّ في البريد منذ بدء انشائهِ فتمت بهِ الفوائد وعمت باتصال اطراف المسكونة بعضها ببعض وقد صادف هذا الاتحاد نجاحاً عظيماً حيث صار يمكنهُ تخليص الرسائل من ايَّة جهة واليها مقدماً وتنزلت اجر ما يرسل من المراسلات الى فئةٍ ادنى كثيراً من الفئة السابقة وكثرت السهولة في المعاملات السياسيَّة والتجاريَّة وغيرها بحيث صارت الزيادة فيما يرسل مع البريد تعادل النقص الذي نشأ عن تنزيل فئتهِ بل تزيد عنهُ

وكان هذا الاتحاد ايضاً واسطة لتعديل اجر المراسلات في داخليَّة اكثر الممالك لان كثيراً من الجهات قد ساوى اجر مراسلاتهِ واوزانه بهِ الاَّ القليل

منها التي منعتها من ذلك مقتضيات احوال البلاد

واول من خطر في بالهِ هذا الامر الخطير وسعى في المخابرة عنهُ العلامة اسطفان مدير بريد المانيا العام

وظن بعضهم ان الفضل في ذلك للموسيو ابوريل مدير عموم بريد سويسرا منذ تولى رئاسة ديوان عموم الاتحاد وجعل مركزه في مدينة برن عاصمة تلك المملكة. هذا ولما رأت الممالك عظم الفوائد التي نشأت عن هذا المشروع الجليل استحسنتهُ واقرت على قبولهِ فعينت لهُ مؤتمرًا في مدينة برن وذلك في ٩ اكتوبر سنة ١٨٧٤ وبعثت بمندوبيها اليهِ وهم كلٌّ من مندوبي المانيا والنمسا والمجر والبلجيك والدانمرك ومصر واسبانيا واميركا وفرنسا وانكلترا واليونان وايطاليا ولكسمبرج والفلمنك والبورتغال وبلغاريا وروسيا والصرب واسوج وسويسرا وتركيا (الدولة العليَّة)

على ان فرنسا لم تدخل في هذا الاتحاد الاَّ في اول سنة ١٨٧٦ بحيث كانت حافظة لنفسها الحق فيهِ

ثم انهُ بعد مداولة هذا المؤتمر التي استغرقت بضعة اشهر وقَّع جميع المندوبين على المعاهدة الَّتي سنت فيهِ وعلى قوانين الاجر العموميَّة والمرور وغير ذلك بغاية الاستيفاء

وكان ابتداء العمل بمقتضى هذا الاتحاد في جميع البلاد المتعاهدة في اول شهر تموز (يوليو) سنة ١٨٧٥ وبواسطة هذا الاتحاد قد تسنَّى لبعض مصالح البريد ان تعقد معاهدات خصوصيَّة عن بعض الاشغال الَّتي لم تكن تقررت بعد بالاتحاد العمومي مثل حوالات النقديَّة والخطابات ذات القيمة

ومع الوقت وتكرار التآم مؤتمر الاتحاد كانت تزداد انواع اشغال البريد وتعميمها بين المتعاهدين بانضمام مصالح البرد الاخرى الى باقي الجهات التي تركب منها رأس الاتحاد

ولما كان من جملة قوانين الاتحاد انعقاد مؤتمر عمومي في كل ثلاث سنوات مرة على الاقل يؤلف من نواب المصالح المتعاهدة للنظر في تحسين امور البريد واحداث ما تقتضيهِ شؤون المصلحة والمداولة في المسائل العمومية فقد انعقد مجلس الاتحاد ثانيةً في مدينة باريس في ٢ مايو سنة ١٨٧٧ وتقرر فيهِ جملة تعديلات مهمة وترتيبات مفيدة وعرف هذا الالتئام بمعاهدة باريس الاولى

وثالث التئام تمَّ بها ايضاً في اواخر سنة ١٨٨٠ فسمي بمعاهدة باريس الثانية واهم ما تقرر فيهِ مبادلة طرود البوستة اي الرزم الصغيرة من كل نوع ما عدا الاصناف الممنوع دخولها الى بعض البلاد

وقد دخل في الاتفاق كل برد اوربا والهند والعجم وجهات تركيا اسيا وآخر التئام كان في اوائل سنة ١٨٨٥

وقد حدث فيهِ جملة امور ذات اهمية اولها التوصل الى مبادلة المراسلات مع غالب عموم المسكونة بواسطة ادخال جملة برد من ملحقات الدول ضمن شروط الاتحاد وثانيها ابلاغ زنة الطرود اي الرزم الصغيرة الى خمسة كيلو غرامات بدلاً من ثلاثة وقبول طرود ومؤمن على قيمتها اي مضمونة ومحول بتحصيل قيمتها وثالثها التوسط في تحصيل قيم اوراق لذمة مدانيها ورابعها قبول خطابات مؤمنة اي مضمونة لغاية مبلغ ١٠٠٠٠ فرنك بدلاً عن ٥٠٠٠ فرنك وخامسها قبول حوالات بوستة ودفعها بواسطة التلغراف وسادسها جعل دفاتر

اثبات الشخصيّة (بيانها بالبريد المصري) وكان هذا المؤتمر في مدينة لزبونا عاصمة البرتغال فعرف لها

ومن قوانين الاتحاد ايضاً قبل ارفضاض كل مؤتمر يتعين تاريخ المؤتمر القادم والبلد الذي سيكون فيهِ الاّ اذا حدث امر يوجب تغيير هذا التحديد

وكان في كل مؤتمر يؤخذ صور جميع المندوبين للاتحاد وخصص اخيراً لذلك البرن كبير (مجمع صور) ليحفظ فيهِ بالتسلسل صور جميع مندوبي الممالك على التوالي وترتب لهذا الاتحاد ديوان عمومي في مدينة برن (عاصمة سويسرا تقوم بنفقتهِ جميع المصالح المتعاهدة كلٌّ منها بحسب درجاتها ومن خصائص هذا الديوان التوسط والمساعدة لكل ما يلزم المصالح المتعاهدة او غيرها من الّتي تريد الدخول ضمن الاتحاد من مخابرة واستعلامات وتحقيقات وغير ذلك

ولهُ جريدة خصوصيّة تسمى (انيبون بوستال) اي الاتحاد البوستي تصدر كل شهر مرة محررة باللغات الفرنسويّة والنمسويّة والانكليزيّة على شكل يتألف منهُ مجموع سنوي بفهرسة سهل المأخذ مرتب على الاحرف الهجائيّة ويتوزع منها على عموم المصالح المتحدة وافراد موظفيها الّذين يريدون الاشتراك بها بنوع خصوصي وهي بقيمة زهيدة تدفع سنوياً مقدماً وهذه الجريدة تتضمن كلما يختص باشغال البريد العموميّة والخصوصيّة من معاهدات وترتيبات وتعديلات ونتائج تحقيقات وتعيين البرد وغير ذلك من الامور الّتي تعود بالفوائد الجمة على جميع البرد في وقوفها على عموم الآراء والترتيبات واقتباسها بعضها من بعض كل امر مستحسن اما كيفيّة توزيع نفقات عموم الاتحاد

على الجهات فهي انها تقسم جميعها الى ست درجات متفاوتة فتوزع عليها النفقات باسهم محددة فيخص الدرجة الاولى خمسة وعشرين والثانية عشرين والثالثة خمسة عشر والرابعة عشرة والخامسة خمسة والسادسة ثلاثة ثم تضرب الاسهم المذكورة بعدد الجهات المتساوية في الدرجة و يقسم الحاصل على مجموع ذلك و يكون الخارج مخصصاً بكل سهم من تلك الاسهم

وقد حسبوا المانيا والنمسا والمجر واميركا وفرنسا وانكلترا وايطاليا وروسيا والدولة العلية من الدرجة الاولى

واسبانيا من الدرجة الثانية والبلجيك ومصر والفلمنك و بلغاريا واسوج من الدرجة الثالثة

والدانمرك ونروج والبورتغال وسويسرا من الدرجة الرابعة واليونان والصرب من الدرجة الخامسة ولكسمبرج من الدرجة السادسة

اما باقي الجهات التي دخلت ضمن الاتحاد بعد انعقاده الاول فقد تقررت درجاتها بحسب حالتها

وقد لخصنا من قوانين هذا الاتحاد ما يهم الجمهور معرفته وهو ان جميع مصالح البرد المتحدة تحسب كأنها مصلحة واحدة في كل ما يتعلق باشغال البريد وجميع الاجر التي تحصل تضاف باكملها للمصلحة التي حصلتها ولهذا لم يكن بين الجهات المتعاهدة محاسبة في ذلك الشأن وان يكون مرور المراسلات في كل الجهات بغاية الحرية و باسرع الطرق واسهلها

ولا يجوز تخليص اجر المراسلات الا بطوابع بريد جهة التصدير ولا تقضي شروط التعاهد بتغير في قوانين البريد المتبعة في داخلية كل جهة وان لا يكون

في البلاد المتعاهدة خلاف بريد حكومتها

ولما ظهر لباقي الممالك والحكومات ما نتج من التساهل والفوائد للبلاد المتحدة اقبلت بكليتها على ولوج هذا الباب حتى عمّ الاتحاد جميع برد العالم او كاد وبعد ان كانت لوائح المصالح تنشر اسماء جهات التعاقد صارت تنشر اسماء المصالح الخارجيّة عنهُ لقلتها وبسبب تناقصها صارت مع الوقت تحسب من النزر قليل العدد والاهمية فانهُ لم يبقَ منهُ الاّ اوستراليا وزيلاندة الجديدة وبكوالاند والترنسوال وراس الرجا الصالح وناتال وجزائر فيجي والقديسة هيلانة وجزيرة افرسيكيا (بالشاطئ الغربي) ما عدا ليبيريا والمستملكات الالمانيّة والانكليزيّة والاسبانيّة والفرنسويّة والبرتغالية وجزيرة الصعود

وهذه الجهات يمكن مبادلتها ايضاً بواسطة جهات الاتحاد وملحقاتها ببعض انواع المراسلات مثل خطابات عادية ومسجلة وجرائد باجرة خصوصيّة ولو ان المواصلات في الوقت الحاضر مع هذه الجهات قاصرة على ماذكر وامتياز اجرها عن اجر الاتحاد بعلوّ فئتها الاّ انها تعد تكملة لتبادل المراسلات مع باقي اطراف المسكونة وذات فائدة عظيمة ولاسيما للمضطرين الى التراسل مع هذه الجهات على ان التقدم السريع يبشر بقرب انضمامها ايضاً الى باقي المصالح المتعاهدة فتصبح جميعها واحدة ليس بينها غريب

ولم يبقَ في نفس العموم من مصالح البرد بعد ما اجرتهُ من التساهل الاّ امر واحد وهو استنباط طريقة لمبادلة المبالغ الصغيرة التي لا تتحمل مصاريف رسوم ومن ذلك ماجاء في بعض الجرائد تحت عنوان (تسهيلات بريديّة)

من اصعب الامور ارسال مبالغ صغيرة من بلد الى بلد اذا كان كل منها في قطر اجنبي عن الآخر فاذا رمت ان ترسل من فرنسا الى النمسا فرنكاً بدون ان تتكلف نفقات ارسالها صرة او امانة في البريد لاتقدر ان ترسل طوابع برد فرنسويّة لانها لا تقبل في برد النمسا

وكذلك اذا اردت ان ترسل فرنكاً او فرنكين ثمن كتاب او غيرذلك وقد طبعت جريدة البريكوزور دانفر رسالة واردة عليها من مكاتبها بهذا الشان مآلها انهُ من الواجب على الحكومة البلجيكيّة ان تخابر مع الدول التي عقدت معاهدة برن المتعلقة بالبرد ان تقبل بأمر بسيط جدًّا ذي نفع عظيم وهي ان تبيع كل حكومة طوابع الحكومة الاخرى في بلادها وتكون لدفع المبالغ الصغيرة حتى اذا اشترى احد اهالي موسكو مثلاً كراسة في باريس يقدر ان يرسل ثمنها فرنكاً الى باريس طوابع بوستة فرنسويّة يشتريها من ادارة البريد الروسي بدون اقل كلفة اونفقة

ولا جدر بالدول ان تجعل طوابع واحدة عموميّة لكافة البرد وهذا اوفق. انتهى

قلت اننا لم نذكر ذلك في هذا الكتاب استصوابًا للطريقة ولكن اعلانًا لبعض الافكار المتجهة نحو هذا الشان

ولا يبعد على همم رجال عموم الاتحاد وحكمتهم وجود دواء موافق لذلك ايضًا حتى لا يبقى حاجة في نفس يعقوب

وكان في منتصف هذا القرن بعض معاهدات بريديّة بين دولتين او اكثر الّا انهُ بانحصار الفائدة بمراسلاتها قد كانت تلك المعاهدات غير وافية

المرام وجعلتها لا تعد شيئاً من الفوائد بالنسبة للاتحاد العام

وقد انحل اكثرها بعد انعقاد الاتحاد العام على انه لا تزال بعض الشروط المختصة باشغال البريد تعقد بين حكومتين او اكثر عن تبادل بعض انواع المراسلات بنوع خصوصي عند ما يرى في ذلك مصلحة للبلاد او زيادة تسهيل وهي اشبه بالمعاهدات التجارية وهذه الشروط لا تعتبر شيئاً من قوانين التعاهد العام بل يكون من واجباتها ايضاً عند الاقتضاء ان تراعي نقل مراسلات الجهات المتحدة ومصلحتها بحسب شروطها الخصوصية

الفصل الخامس

في تاريخ البريد

للبريد في عالم التاريخ نسب في الشرق كغيره من الامور العظيمة ومع شهرته الفائقة قد اختلفت التواريخ في تعيين بلاد نشأته وسلطان منشئه اختلافها في كل موضوع ولا عجب فتلك سنة في المؤرخين توصلهم اليها الابحاث العميقة التي لولاها ما وصلوا الى محجة الحقيقة

وقد زاد تاريخ البريد تلوناً وغموضاً عن سواه بتشابه طريقة القانوني منه بغيره وجهل الاقدمين قدره حتى اهمل مؤرخوهم اعطاءه حقه كغيره من البحث والشرح الذي كان تمهيداً وتوطئة لمن بعدهم

وعلى ذلك لم يبقَ امامنا واسطة للوقوف على الحقيقة الاَّ الاستدلال من

اقوال التواريخ الاكثر شهرة ومطابقة لغيرها

فمما يؤخذ من عبارات ديودورس المؤرّخ ان البريد كان مرتباً عند الاشوريين والبابليين منذ القرن الثامن قبل المسيح ومن غيرها من التواريخ القديمة ان ديجوسيس لما تملك على الماديين رتب البريد في القرن السابع ق م

وكان ذلك من ضمن حذقهِ واجتهادهِ في ادخال الاصلاح والتمدن للبلاد ليستميل قلوب الشعب اليهِ بواسطة ترتيب امور لم يذوقوا لذّة فائدتها من قبل على ان التواريخ الاكثر تداولاً مثل كتب هيرودتس وغيرها التي تعضدها ذات شواهد كتاب التوراة تثبت ان اول من رتبه داره (داريوس) مؤسس دولة الفرس في القرن الخامس ق م

واما ما خالف ذلك من الاقوال التاريخيّة فلا يبعد ان يكون المقصود من عباراتها عن البريد الرسل التي كانت مرتبة لمراسلات الملوك الخصوصيّة وهو الاقرب الى الصحة لان طريقة التراسل قديمة جداً لا يمكن تحديد زمن ابتدائها

واقدم ما وصلنا من اخبارها انها كانت موجودة في الصين في القرن العاشر ق م وكل هذه الطرق لا تعد بريداً قانونياً

اما من نسب اول ترتيب البريد لكسرى انوشروان وغيرهِ في القرون الاولى من التاريخ المسيحي فقد ضل سبيلاً

ومن كل هذه الابحاث يتضح ارجحيّة القول في نسب ترتيب البريد القانوني الى داريوس كما ذكرلانهُ فضلاً عما يعضد ذلك من عبارات الكتب الكثيرة قد يسنده ايضاً بقاء اسمهِ الفارسي المتداول بين العالم الى الآن نسبة الى دوابّهِ الخصوصيّة كما شرحنا عن اسم البريد في اول وصفه

وعليه يكون البريد قد ترتب منذ اكثر من ٢٣٠٠ سنة وهذه القرون العديدة قد جعلت البريد يحسب اقدم مصالح العالم كما اصبح الآن اشهرها

واذا كانت القرون الاولى لمنشإ البريد وبعده اي العصر القديم والمتوسط ميداناً للحروب الكثيرة ومركزاً للانقلابات العظيمة في الممالك القديمة فكان بدره يظهر ويغيب مع بزوغ شمس كل دولة وافولها كما يعلم ذلك كل مطلع على تاريخ الممالك المتقدمة

وهذا الامر الوحيد الذي اخر انتظام البريد وتقدمهُ في العالم الى القرون المتأخرة وفتح باباً للبرد الخصوصيَّة التي اوضحنا عنها في وصفها وهكذا مضى من تاريخ البريد الاول عدة قرون في غياهب تلك الانقلابات التي جعلت تاريخهُ القديم متقطع الاوصال حيث لم يرسخ لهُ قدم على وجه البسيطة الاَّ في القرن الرابع عشر م بعد ان سكنت زلازل تلك الحروب العظيمة وتوطدت الممالك

ومن ذلك الوقت يبتدئ تاريخ البريد الجديد الذي يحسب الحلقة الاولى من سلسلتهِ التي اتصلت الى وقتنا الحاضر الاَّ ان سيرهُ كان بالعكس اذ كان ابتداء تاريخهِ في الشرق وهذا كان في الغرب كما حصل في العلوم والفنون

واول ابتداء ترتيبهِ الحديث في الغرب كان في انكلترة في القرن المذكور اي الرابع عشر وفي رواية اخرى ربما كانت اقوى سنداً ان السابق لترتيبهِ لويس الحادي عشر احد ملوك فرنسا الذي يحق ان يسمى ابا البريد الحديث كما ان داريوس ابو البريد القديم فانهما في عالم البريد اشبه بآدم ونوح عليهما السلام في العالم

اما ما قيل من ان ترتيبهُ على عهد شرلمان فيدخل تحت الشك او انهُ

يحسب من البرد غير القانونيّة لما يستدل من عبارات التاريخ عن اضطرار مدرسة باريس الكليّة التي انشئت في عصره الى ترتيب بريد خصوصي يقوم بايصال مراسلاتها ومراسلات طلبتها

وفي القرن الخامس عشر اخذ ترتيب البريد يمتد في باقي ممالك اوربا حتى عمّ اكثر اقسامها وسار به اول خط عمومي للبريد وذلك بين كلٍّ من بروكسل وڤينا ثم امتدّ الى جرمانيا وايطاليا واتصل الى البندقيّة (ڤنيس) وجنوا ولفيرنوا ونابولي وهمبرج وبرين ولوبك وفرنكفورت

وقد أُدخل ترتيبهُ في القرن المذكور ايضاً الى البيرو من اميركا على اثر فتوحات الاسبانيول بنوع لا ينقص نظاماً وفائدةً عن برد اوربّا التي كانت في ذاك الوقت الاّ انهُ زال من تلك البلاد بزوال قدم هولآء الفاتحين منها

وبالاجمال كان في القرن الخامس عشر اول خطوة عظيمة للبريد في سبيل التقدم ولم يات على البريد القرن السادس عشر حتى عمّ كل اوربّا تقريباً وبدأ ترتيبهُ في بعض بلاد اميركا من ملحقات دول اوربّا

وفي تاريخ البريد من حيث تقدمه وفائدتهُ ما يشبه نشأة الطفل وتقدمهُ في المزايا بتقدم سنهِ ولذلك لم يأتِ انشاء البريد الجديد اي الثاني في اوربّا بتغير عن حالتهِ الاولى بل ظهر باصلهِ البسيط قاصراً في اول امره على العواصم والمدن الشهيرة او بالحري على المراكز التي كانت تهم الملوك مواصلتها وعلى نقل المراسلات البسيطة كما اتينا على شرح ذلك في وصف البريد وبقيت البلدان الثانويّة محرومة من فوائده الى القرن السابع عشر ولم يعم البلاد الصغيرة والقرى الاّ في القرن الحالي اذ اشرف على درجة الكمال بامتدادهِ واتساع دائرة

اداراته ونظامه العظيم الذي نراهُ الآن

على ان انتشار البريد وسرعتهُ وتقدمهُ كانت بحسب تقدم كل مملكة في احوالها العموميَّة كما سيأتي ذلك في فصل فوائد البريد ومن التفاصيل الآتية عن تاريخ بريد كل دولة يمكن المطالع ان يقابل سير البريد في الغرب وسيره في الشرق من ابتداء تاريخهِ الحديث الى وقتنا هذا اي من القرن الرابع عشر م لذي هو ابتداء تاريخهِ المتسلسل الى الآن في جميع ممالك هذا الزمان

وانما قبل الشروع في ذلك نذكر ما يهم من تاريخ برد الممالك السالفة فنقول ان اشهر البرد القانونيَّة ما كان مرتباً منها عند الفرس في القرن الخامس ق م كما مرّ ثم الرومانيين ولكن تاريخ بريدهم قد اختلفت التواريخ العموميَّة في تقرير ابتداء نشأتهِ فمنها من نسب اول ترتيبهُ الى يوليس قيصر ومنها من قال انه كان موجوداً قبل ذلك على زمن جمهوريَّة الرومانيين لكن على الغالب لم يكن البريد في ذلك الزمان مرتباً بنوع عام حيث كان لامراء البلاد برد كثيرة مختصة بمراسلاتهم على ان تاريخ منشإ البريد الروماني لا يخلو من الغموض وغاية ما وصلنا من المصادر المعوَّل عليها عن اخبار بريد الرومانيين انهُ قبل التاريخ المسيحي بقرن كان البريد موجوداً عندهم وهم اول مَنْ رتبهُ في الغرب وتلاهم في ذلك العرب

وكان ترتيبهُ عندهم في القرن السابع ب م وقد سبق الكلام على تفصيل احوال بريدهم التاريخيَّة والنظاميَّة في محلهِ

واهم ما علم عن هذه البرد انها كانت مرتبة في تلك الممالك بحالة متشابهة النسق كما سبق وصفها في بابها وبقيت سائرة حتى سقوط ممالكها وجل ما خصها

بهِ التاريخ هو الاقرار بفضل الاسبقيَّة في ترتيبها الاول للفرس وفي نظام محطاتها ونقلها بواسطة العربات والخيل السريعة للرومانيين وفي اتساع النطاق والاعتناء باحوالها للعرب كما علم من الشرح المذكور بالوصف العام اما بريد دولة الاكريك فسيأتي ذكره في الكلام عن بريد اليونان

ثم ان اقدم برد الدول الحالية في الصين وهي لا تزال جارية فيها على عادة الفرس القديمة في البريد ومع انهُ ترتب بها بعد ترتيبهِ عندهم بنحو قرنين فقط اي في القرن الثالث ق م فلم يحدث فيهِ تغير مهم حتى الان

ولا عجب فان عادتها المحافظة على العوائد في جميع الامور حتى غدت في كل احوالها رمزًا للعالم القديم على انهُ قد نشأ عن المداخلات الاجنبيَّة للمواصلات الخارجيَّة طريق اوجد بردًا منظمة للدول الاوربيَّة في اكثر الموانى المهمة الآن البريد في داخليَّة البلاد بقي في حالة لا يرجى معها تقدم او فائدة عموميَّة

واما تركيَّة فقد ترتب فيها البريد بعد توطيد مملكتها على طريقة الفرس القدماء ولم يعمها الا في القرن الماضي ومع انهُ يحسب من اقدم برد الدول المعاصرة لها فقد بقي متأخرًا حتى انهُ كثيرًا ما كانت ترسل المراسلات مع البرد الاجنبيَّة التي انشئت في عدة جهات من المملكة

على انهُ بعد منتصف القرن الحالي دخل البريد العثماني دورًا جديدًا فاتسعت نظاماته بواسطة الطرق الحديديَّة التي جعلت في داخليَّة البلاد وبعد دخولهِ في الاتحاد البريدي جرى بهِ جملة اصلاحات حتى قام مقام البرد الاجنبيَّة ولما صارت البلاد في غنى عنها طلبت الدولة العليَّة ازالتها من بلادها وفقًا لمنطوق المعاهدة الدوليَّة

وقد تم الغاء بعضها والمخابرات جارية بشأن الغاء باقيها على قدم النجاح وقد رخص مؤخرًا لبعض المكاتب التي كانت قاصرة على نقل الخطابات بتبادل سحب الحوالات ونقل صر النقود فاستبشر العالم بتعميم ذلك في باقي الجهات وكل آتٍ قريب

ومن اهتمام الدولة الزائد بشأن البريد صار يؤمل وصوله الى درجة تمكنه من مبادلة كل ما قرّرهُ الاتحاد البريدي من النظامات العمومية المفيدة المملكة ورعاياها المنتشرة في البلاد تحت ظلها المديد

امّا فرنسا فلها من فضل التقدم في ترتيب البريد الحديث ما كان للفرس منهُ في البريد القديم ولو صرفنا النظر عما ذكرتهُ بعض التواريخ عن ترتيبهِ فيها على عهد الملك شارلمان كما تقدم الكلام لتخصيصهِ اذ ذاك بنقل اوامر البلاط الملكي لبقي لها ايضًا فضل الاسبقيّة بترتيبهِ على عهد لويس الحادي عشر في القرن الرابع عشر حيث كان هذا البريد اكثر اعمميّة وسرعة مما تقدمهُ واحكم نظامًا على انهُ لم ياخذ سيره في طريق الكمال الاّ في سنة ١٥٢٤ اذ اتصل باكثر جهات فرنسا

ومن ذلك الوقت الى الان ابتدع فيهِ جملة ترتيبات عظيمة الفائدة مثل صناديق المراسلات والطوابع التي شرحناها في محلها وبنوع عام ان حالة بريد فرنسا موافقة لدرجتها العظيمة

واول ادارة خصوصيّة اقامها في باريس للبريد لويس الرابع عشر الذي اهتم كثيرًا بامر نظام البريد ولكنهُ لم يتمكن من ايصالهِ الى درجة الاتقان التام كباقي مشروعاتهِ العظيمة

اما انكلترة فمن التواريخ ما اثبت ترتيب البريد بها في القرن الرابع عشر ومنها من اخره الى القرن الخامس عشر وعلى كلتا الحالتين لم يصل فيها البريد درجة الاهمية الا في ايام جمس الاول فانه حالما تبوأ تخت الملك اقام مأمورية البريد في انكلترا الى البلاد الاجنبية وسنة ١٦٣٥ اصدر امرًا عاليًا لمدير البريد العام ان يرتب فرع بريد سريع بين لندره وادنبرج ويسير نهارًا وليلاً ويرجع في ستة ايام ثم أتيم سنة ١٦٤٤ بريد اخر اسبوعي للمكاتيب الى جهات المملكة

وهكذا اخذ البريد في انكلتره بعد ذلك في التقدم والاتساع والضبط الى ان صار يحسب بين البرد من الدرجة الأولى بامتداد طرقه برًا وبحرًا وذلك لضخامة المملكة وكثرة مستعمراتها واتساع نطاق تجارتها العظيمة

اما قول بعض المؤرخين باسبقية انكلتره لترتيب البريد في اوربا فقد نبذه المحققون حيث ثبت لديهم ان البريد الذي ترتب بها في القرن الثالث عشر لا يحسب عموميًا لانه كان قاصرًا على نقل مراسلات الحكومة

اما المانيا فاول من رتب بريدها كارلوس الخامس وكان يمد بسرعة مع فتوحاته

وقد خالف ذلك عبارة بعض التواريخ حيث ظهر منها ان البريد لم يترتب في هذه المملكة الا في اوائل القرن السادس عشر لكن الشواهد التاريخية العمومية تنقض هذه المخالفة وتثبت ما ذكرناه اولاً ثم انه لما ظهر في المملكة من الشقاق المدني والسياسي قد تأخر امتداد البريد في داخلية البلاد ثم كاد يهمل امره بالكلية في القرن السادس عشر لما طرأ على البلاد من التأخر وبعد ذلك تعطل سيره بحرب الثلاثين سنة ولم يعد منظمًا الا في اوائل القرن السابع عشر لكنه

كان ضعيفاً لضعف البلاد وبقي نحو قرن كامل في خمول لم ينشط منهُ الاَّ نحو سنة ١٨٣٠ ومنذ سنة ١٨٥٠ الى الآن كان البريد الالماني سائرًا بكل سرعة في طريق التقدم والانتظام حتى صار الآن قدوة في نظامهِ واصبح لهُ المقام الاول بين بريد العالم وخصوصاً بتدبير مديرهِ العام الذى يحسب ثالث رجلٍ في المانيا

اما النمسا فاول ترتيب البريد بها كان بين بعض مدنها الشهيرة بواسطة الخط البريدي الذي كان متصلاً ببعض بلاد المانيا في منتصف القرن الخامس عشر وفي اوائل القرن السادس عشر ترتب بعض خطوط اخرى في البلاد الاَّ انها كانت اقل كمالاً من برد غيرها من الممالك مثل انكلتره وفرنسا واحسن نظام ظهر في بريد النمسا كان في زمن الملكة ماريه تريزا في القرن السابع عشر وبقي متبعاً هذه الخطة بعد ذلك يتقدم بين اتساع النطاق والانتظام حتى صار الآن يحاكي لبرد باقي الممالك العظيمة

اما ايطاليا فبعد ان ترتب بها البريد بنجاحٍ في اواسط القرن الخامس عشر بارتباطهِ مع برد بعض الحكومات المجاورة لبلادها تأخر نموهُ ونظامهُ فيها كثيرًا فلم يتم على قاعدة راسخة الاَّ في اواسط القرن الحالي بسبب المنازعات الداخلية والحروب الخارجية الطويلة التي لازمت البلاد

على ان سيرهُ المستديم بعد ذلك جعلهُ يلحق بالنظام غيرهُ من برد الممالك الشهيرة

ولاغرو فهو بريد خلفاء تلك الامة الرومانية التي كان لها الميل الغريزي في نظام البريد والفضل الاول في ترتيبهِ في اوربا ثم من بعد وحدة ايطاليا قد كان

للكونت كاڤور فضلٌ عظيم في اتساع نطاق البريد (انظر فصل فوائد البريد بعدهُ)

وفي هذا العام صدر امر عالٍ بترقية مصلحة عموم البرد الايطالية لدرجة وزارة بسبب ماوصلت اليهِ من الاتساع

واما الولايات المتحدة الاميركية فلم تتنبه الى ترتيب البريد الا في اواخر القرن السادس عشر الاَّ ان قلة الاهالي اذ ذاك قد اخرت اتساع نطاقهِ ونظامهِ الى سنة ١٨١٠

ومن ذلك الوقت اخذ بريدها في التقدم من كل وجهٍ حتى صار يضاهي احسن برد ممالك اوربا العظيمة نظاما ويفوقها امتدادًا في داخلية البلاد المتسعة . اما روسيا فكان ابتداء ترتيب البريد بها مع الاصلاحات التي اقامها بطرس الاكبر بالبلاد في القرن السابع عشر ولو انهُ كان اتساع نطاقهِ بطيئًا بالنسبة لغيرهِ من البرد الاَّ انهُ بقي سائرًا نحو التقدم بثبات مع تقدم باقي النظامات الحديثة في تلك المملكة العظيمة الاتساع

ومع انهُ لم يدخل بريد روسيا مع باقي البرد المتعاهدة في جميع النظامات وقبول مبادلة جميع الاشغال التي تقررت بين غالب المتعاهدين لكن نظرًا لما هو جارٍ فيهِ من النظام المتواصل يرجى لهُ الوصول قريبًا الى درجة الكمال وقد ادخل مؤخرًا في البريد الروسي اشغال صندوق الاقتصاد العام

اما برد الممالك الثانوية والحكومات الصغيرة فتاريخ ترتيبها ونظاماتها كغيرها من الممالك العظيمة وهي مقاربة لهُ وليس بها فرق يستحق الذكر انما اليونان الحالية كان ترتيب البريد فيها متأخرًا حيث لم يبتدِ سيرهُ الاَّ سنة ١٨٤٥ وذلك

بعد استرجاع اليونان حرية البلاد وان كانت هذه الامة العظيمة لم يكن لبريدها في عالمها القديم ذكرٌ يضاهي قدرها الاَّ انها برهنت مؤخرًا على معرفة فوائد البريد وحريتهِ فقدرتهُ قدرهُ

من ذلك ما اجراهُ الشعب اليوناني لما اجبر الملك اوثو بجعل نظامات دستورية وقرر من ضمن الطلبات بندًا خصوصيًا للبريد (حرية المراسلات وعدم انتهاك حرمتها)

على ان البريد اليوناني لم يبلغ حتى الآن درجة برد الممالك المساوية في الدرجة لمملكة اليونان من جهة النظامات وانواع المنقولات

وما يستحق الذكر بنوع خصوصي من تاريخ برد الممالك الثانوية ادارة بريد حكومة سويسرا فان نظامها الخاص وما برهنت عليهِ من الاستعداد في الاتحاد العام وفي ادارة مركز عموم البرد المتحدة فيها جعل لبريدها مقاماً ساميًا في شهرة النظام بين برد جميع الامم وتاريخها اما برد ملحقات الدول والمستعمرات في الشرق والغرب مثل الهند وارلندا وازلندا ومالطا وتونس وغيرها فابتداء تاريخها وترتيبها بحسب تاريخ الحاقها بالمملكة او بالاحرى بحسب سياسة الحكومة المتسلطة عليها والاصلاحات التي خصتها واسرع اصلاح ظهر في بريد الملحقات الجديدة كان في بريد تونس حتى انهُ في مدة قليلة من الزمان صار يضاهي اعظم البرد او يقاربها في نظامهِ فانهُ بوقت قريب تشكل لهُ مصلحة قائمة بذاتها وحسبت من ضمن مصالح الاتحاد العام وادخل في اشغالها جميع اصطلاحات الممالك المتمدنة واحدث برد ظهرت مؤخرًا في سلك النظام العام بريد اليابان ورومانيا والسرب والجبل الاسود وبلغاريا

ولا يخفى ان تقلبات برد الدول الحاضرة تابعة لاحوالها السياسية من جهة الارتباكات او الحروب الداخلية والخارجية الكثيرة الوقوع في كل زمان التي يمكن المطالع منها ان يقف على ما اصاب بريد كل مملكة في مثل تلك الاحوال من التقدم والتأخر كما سبق الكلام في كل من قسمي البريد الحربي والخصوصي

وقد تكلمنا عن تاريخ برد هذه الدول اجمالاً بقدر ما تيسر لنا استخلاصهُ من تواريخها العمومية وسمح لنا المقام بايرادهِ على اسلوب الاختصار والافادة بما يهم المطالع معرفتهُ

اما تاريخ بريد مصر فيطلب من الباب الثاني الخاص بهِ وقد اكتفينا بما بسطناه من الشرح في كل فصل عن تاريخ ابتداء كل نوع وفرع من اشغال البريد ومبتدعيها فرارًا من التكرار والتطويل

ولما كان الملك داريوس لهُ الفضل الاول في ترتيب البريد في العالم رأينا من المناسب بل الواجب اثبات ترجمتهِ هنا قياماً بواجبات فضلهِ العظيم وتتميمًا للفائدة آخذين ذلك عن اشهر تآليف هذا العصر دقة وضبطاً

داريوس هيستاسب هو ابن هيستاسب من نسل اخيمينيذه الملكي ملك من سنة ٥٢١ الى سنة ٤٨٦ ق م وفي هيرودتوس انهُ عين للملك في حياة قورش الذي رآه في حلم باجنحة يظلل بها آسيا واوربا

واذ مات قنبيز بدون عقب ولم يكن لقورش ولد غيرهُ في قيد الحياة ورث داريوس الملك فأقام بمؤامرة هو واوتانس وخمسة غيره من الشرفاء محاولين خلع بسفدوس اسمرديوس اي اسمرديوس الكذاب واسمرديوس هذا هو غوماس المذكور في محفورات بهستون الذي كان قد جعلهُ المجوس ملكاً لفارس مدة غياب

قنبيز ورغب اوتانس بعد اسمرديوس الكذاب في ان يؤسس حكومة ديقراطية ولكن طلب رفقاؤهُ الآخرون اقامة حكومة ملكية واتفقوا جميعهم ان يركبوا خيولاً عند شروق الشمس وان من صهل حصانهُ اولاً يقام ملكاً

قال هيرودوتس ان داريوس فاز بحيلة وهي ان سائس فرسهِ جعل في الجهة التي كانوا مزمعين ان يمروا بها حجرة كان حصان مولاهُ يعرفها فلما رآها صهل فلكي يقوي داريوس اركان عرشهِ تزوج بابنة اوتانس وابنة اسمرديوس وابنتي قورش واصبح لاحداهنَّ وهي اوتوسا سلطة عظيمة في بلاطهِ فكان داريوس ملكاً ذا اقتدار عظيم واقدام على المهام مستبدًّا قاسياً فهو مؤسس المملكة الفارسية وكان غيوراً متمسكاً بديانة شعبهِ الايرانية الثانوية وقد ارجع ما كان لها من السيادة على ديانة المجوس المناظرة لها فقسم بلاد فارس الى عشرين دهقانية وعين مايجب على كل منها دفعهُ للحكومة من الحاصلات والمعادن الثمينة

(ورتب بردًا بالسعاة بين المائة والسبعة والعشرين ولاية في مملكتهِ) وقال هيرودوتس ان حصار بابل نشأ عن عصيانها ومدافعتها عن استقلالها بشباب وعزم شديد مدة عشرين شهراً ولم تنقع المدينة الا بواسطة تطوع دوبيريس نفسهُ فانهُ هشم وجههُ تهشيماً وذهب من معسكر داريوس الى بابل يشكو قساوة الملك فجعل فيها قائداً للجيش المدافع فسلمها الى داريوس فانتقم من اهل بابل بقتل ثلاثة آلاف شخص من اعيان المدينة على الخازوق وهدم اسوار المدينة وذلك سنه ٥١٧ ق م ولكن كلام هيرودوتس هذا لا تعضدهُ محفورات بهستون

وبحسب تلك المحفورات عصت عليهِ بابل مرتين ولكي يقاص السكيثيسيين المقيمين حول شطوط البحر الاسود الشمالية على غزواتهم القديمة

زحف من سوسة عاصمة بلاده بجيش عدده نحو ٧٠٠٠٠٠ مقاتل واجتاز البوسفور على جسر بناه رجل يوناني سامياني واجاز تراقة وعبر الدانوب مطاردًا القبائل الرحالة ولم يدافعوهُ بل كانوا يسوقون قطعانهم امامهم ويطمرون الآبار التي في طريقهم قاصدين الانتصار على القائمين بالجوع والعطش ومصاعب السفر لا بالقتال وخسر اكثر جيشهِ فرجع تاركًا الشيوخ والمرضى وراءهُ وفرقة من الجيوش تحت قيادة مغابازس في تراقة التي قهرت البيونيا ونقلتهُ الى فريجيا

وكان قد عبأ حملة اخرى فاستظهرت على قسم من الهند وقد استقرت شطوط الاندس وما حول شواطئ بحر أريثريا تحت قيادة سيلاكس اليوناني الكاري فاكسب داريوس مجدًا وفخارًا بحريًا

ثم ان عصيان الايونيين ومساعدة الاثينيين والاريتريين لهم وخصوصاً احراق ساردس حملت داريوس على تجريد حملة على الاغريقيين سنة ٥٠٠ ق م وبعد فتح ميليتوس ارسل جيشاً تحت قيادة مردنيوس واسطول بحري لاخضاع اليونانيين ولكن مهاجمات القبائل السكيثية في تراقة والانواء التي ثارت مقابل جبل آثوس اكرهت الجيش والاسطول على الرجوع فرفض الاثينيون باستهزاء ماطلب منهم رسل داريوس من الاملاك برًّا وبحرًا

ثم ارسل جيشاً آخر مع ستمائة سفينة تحت قيادة داتيس وارتافرنوس ففتح نكسوس ولكن عفا عن جزيرة ذيلوس المقدسة وخضعت كل جزائر سكلادة بدون مقاومة فاخرب ارتيريا الواقعة في جزيرة اوبة التي سلمت اليهِ بخيانة وخرجت العساكر الى البر في اتيكا ولكن انتصار الاثينيين تحت قيادة مليتادس في ماراثون سنة ٤٩٠ نشأ عنهُ انكسار جيش داريوس الاَّ انهُ لم يقطع املهُ من

اخضاع بلاد اغريقية فجهز كل قوات مملكتهِ الحربية غير ان عصيان مصر حال دون مرامهِ ولم يمضِ الاَّ القليل حتى توفي تاركاً القيام بالانتقام لابنهِ زاره وكان داريوس يميل كقورش الى شعب اليهود وفي ايامهِ رمموا اورشليم (القدس الشريف)

الفصل الخامس

في فوائد البريد

من الروابط الطبيعية التي جعلتها الحكمة الالهية واسطة للالفة الجنسية ولترقي الانسان واتساع دائرة التمدن والعمران اختصاص كل اقليم واهله بمزية تختلف باختلاف عنصر البلاد وتأثير طبيعة مناخها في اهلها حتى صارت كل بلد محتاجة للاخرى بما حوتهُ من انواع حاصلات المعدن والنبات وكل امة مفتقرة لغيرها بما استنبطتهُ من الفوائد العلمية والصناعية واتخذتهُ من العوائد والازياء الموافقة لتحسين الهيئة الاجتماعية

وكل من طالع احوال الامم الغابرة يعلم ان ترقي البلاد واهلها كان بقدر اتصالاتها مع غيرها

واقرب دليل على ذلك ماتراه امامنا فان كل من قاس خطوات ابناء هذا العصر في سبيل التقدم على غيرها يجد ماقطعوه في جيلهم يفوق ماقطعتهُ اسلافهم في جميع اجيالهم

وليس علة هذا الفرق العظيم قلة العلوم والفنون عند الاقدمين وانما صعوبة

طرق المواصلات جعلتها محصورة في بعض البلاد وافراد اهلها فكانت ضعيفة النمو وقليلة الثمر حتى كثيرًا ما كانت تموت مع اهلها كما دلتنا الآثار وكان لايقدر على اجتنائها من خلاياها الاَّ القليل من العالم الذين تفردوا بالغنى او امتازوا بعلو الهمة او خصوا بالقوة والتجلد على مقاساة انواع الاسفار بين البرور والبحار وعناء الغربة الطويلة

وكان هؤلاء الافراد يخرجون من بلادهم ولسان حالهم يقول اما رزق قسم او عمر دنا بخلاف ابناء هذا العصر الذين يرون العلوم منتشرة بين الكبير منهم والصغير والغني والفقير بواسطة تسهيل طرق المواصلات فتجد المؤرخ في اوربا يكتب حوادث افريقية والعالم في اسيا يشرح اختراعات اميركا والسياسي والتاجر يقف على اخبار الامصار وهو جالس على كرسيهِ والصانع والمزارع يطالع مستنبطات ومحصولات البلاد وهو في محله او حقله بدون ان يتكلف احد من هؤلاء الاصناف لصرف وقت طويل او مال جزيل بما تأتيهم بهِ الكتب الخصوصية وصحف الاخبار العموميَّة حيث قامت المراسلات الكتابية مقام الاتصالات الشخصية وفاقتها في توفير الوقت والمال والحفظ من الاخطار

فتوسعت بها نطاقات المعارف حتى انتشرت بين الملا وراجت سوق الفنون والصناعة والتجارة فحصل ابناء هذا العصر بهذه الواسطة اي قرب المواصلات وسهولتها على التقدم الذي فاقوا بهِ من تقدمهم

فنتج مما ذكر ان التقدم قد حصل بالمواصلات ولما كان لابد لكل حركة من محرك ومعلول من علة فيكون العلة الاصلية لتلك المواصلات التي نشأَ منها هذا التقدم هو البريد واليهِ بذلك مرجع الفضل الوحيد

ولذا قد تنبه اولو الامر والشأن لتأثير البريد وعرفوا انهُ الباب الوحيد الموصل للتقدم والرفاهية وبالاجمال لكل فائدة عمومية وخصوصية حيث بواسطتهِ يواصل العالم قرينهُ والصانع زميلهُ والتاجر عميلهُ والقريب قريبهُ والصديق صديقهُ الى غير ذلك مما يقوي رباطات الالفة الجنسية والعائلية والمعاملات العمومية مثل السياسية والعلمية والصناعية والتجاريةِ

فمن ذلك وما تقدم من القول يعلم ان تشييد المدارس وجلب المعلمين وطبع التآليف والجرائد بانواعها لا تفيد البلاد مالم يتقدمها الوسائط التي تساعد على نموها وانتشارها في البلاد باوقاتها والاَّ تكون فائدتها كفائدة البلاد من البضائع والمحصولات العظيمة الموجودة في ارض خالية من الطرق التي توصلها الى مركز آخر تجاري او كالمعدن في جوف الارض وبعبارة اخرى كآلة لم يوجد من يديرها

وحسبنا بذلك مدرسة باريس الكلية التي انتشئت في القرن الثاني عشر فان جميع استعداداتها العظيمة التي طار صيتها في الآفاق لم يتأتَّ معها النجاح الاَّ بترتيب بريد خصوصي لها

وكذلك الجرائد في اوربا كانت تضطر لتعيين رسل خصوصية كما غلب الجهات على نفقتها وليس هذه الفئات فقط اي المدارس والمطابع هي التي كانت محتاجة لاستخدام البريد الخصوصي بل الفروع التجارية ايضا كالتي قام بها الايطاليان والاسبانيول والبرتناليون في القرن السادس عشر كما توضح في قسم البريد الخصوصي

وكذلك الجمعيات العلمية في هذا العصر ما تمكنت من الحصول على التقدم الاَّ بواسطة التراسل المستمر مع اعضائها المنتشرين في اطراف المسكونة ولزيادة

البيان واستيفاءً للشرح نلخص تعليل بعض الرجال الادارين على فاعلية البريد وان كان غنياً عن البرهان

وهو ان وسائط توصيل المراسلات بمواعيد قريبة اولاً تمكن المشتغلين بالعلم وطالبيهِ من مطالعة كل ما يوجد من العلوم والفنون ويتيسر لهم مخاطبة ذويهم فيحصل بذلك حركة دائمة تجدد فيهم روح العلوم وتتولد بينهم على قواعد صحيحة وتسري فائدتها في العباد وتروج سوقها في البلاد

ثانياً يتيسر لارباب الزراعة والصناعة والتجارة الوقوف على الدوام على كل ما يحدث من التقلبات السياسية والتجارية والاكتشافات الصناعية والاصطلاحات الزراعية فيتوصل كل منهم عن المخابرة عما يهمهُ ويأخذ الاحتياطات اللازمة للحاضر والمستقبل بما يصونهُ من الغبن في البيع والشراء ومن الندم على فوات الوقت والتأخير فيكتسب بذلك فائدة التقدم فيتقوى بها وتقوى بهِ البلاد

ثالثاً يجعل للعامة من الناس واسطة للتراسل ولو في اوقات الاحتياجات الكلية ثم تصل بهم عادة التراسل شيئاً فشيئاً عما يكون اقل مما قبله فتثبت فيهم وتزيد حتى يتولد فيهم مع الوقت ميل طبيعي للتراسل شعوراً بلذتهِ او غيرة واقتداءً بغيرهم وهكذا يتصل بهم الحال من الميل لاستطلاع الاخبار الخصوصية الى العمومية فيدركون حينئذٍ ضرورة التعليم والحاجة اليهِ فيتدارك الامر من فاتهُ فائدتهُ بتعليم اولادهِ وهكذا ايضاً يكثر عدد المتعلمين بين الافراد ويقل الجهل من البلاد

وقد برهن على ذلك احد مديري المعارف في الولايات المتحدة بتقديم

معدل احصائي برفق تقريرهِ العمومي عن ازدياد المتعلمين في البلاد التي ترتب بها برد على مايضاهيها في الدرجة من التي ليس فيها مراكز بريدية في مدة عشر سنين وذيلها بقياسات طبيعية وعبارات فلسفية وضمنها امثالاً حكمية الى ان شبه تواجد العلوم بواسطة البريد كتواجد العشب حول الماء الذي لولاهُ لم ينبت وختمها بقولهِ الشيء ينمو باستعمالهِ ويضعف بتركهِ وآلة استعمال العلم هو البريد والسلام

وبالاجمال قد اصبح البريد خصوصاً في هذا العصر كدواء تصفهُ حكماء السياسيين للبلاد الضعيفة وتحض عليهِ الفلاسفة والعلماء وتتغالى فيهِ الخطباء والمحررون من ذلك ما قالهُ الكونت كافور احد مشاهير الوزراء المتقدمين في اثناء مداولة بشأن نشر المعارف بين الاهالي علينا بتكثير مراكز البريد فانها مركبة المعارف وآلة بذارها وغرسها فلم ار بلداً دخلها البريد الاَّ واثمر فيها العلم والفلاح

وقال بعض العلماء المشاهير العالمين باسباب فلاح البلاد وسر نجاح العباد ان الفرق بين البلد الذي فيهِ البريد والبلد الخالي من البريد كالفرق بين العالم والجاهل

وقال آخر لو كان للاقدمين بريداً منظم لدعوهُ اله التقدم ومن الاقوال المتأخرة ماقالتهُ جريدة المقتطف العلمية

ان اشغال البريد من اهم لوازم الحضارة بحيث لو حصل بها ادنى عطل لحصل ارتباك الاشغال

وقالت ايضاً التمدن حقيقة اختلف العقلاء في تعريفها وتعيين مقياسها وقد ذهب جماعة من الفلاسفة في هذه الايام الى ان البوستة احسن مقياس

للتمدن واتخذوا انتظامها دليلاً على انتظام الامة واختلالها دليلاً على اختلالها

ولا يخفى ان الجرائد والمراسلات العملية افضل واسطة لنشر العلوم من بلاد الى بلاد وتعميم المعارف بين الافراد ولا ينكر ان هذه الجرائد والمراسلات لا تفي بغايتها الاَّ اذا تيسرت لها البوستة وسائر المعدات

ولهذا يعد كل تحسين في ادارة البوستة خدمة للعلوم وكلما يخفف نفقاتها تخفيفاً لاثقالها عن كاهل خدمة العلم والمعارف

وقالت ايضاً العمران بناءٌ كثير الدعائم والبريد من اعظم دعائمه لانهُ حاجي بين الحاجيات وكمالي بين الكماليات ومساعد على نشر العلوم والمعارف

وقالت جريدة القاهرة السياسية لا يخفى ان اتساع نطاق البوستات في البلاد يحسب من مقدمة اسباب التقدم الذي لا تقوم لهُ قائمة الاَّ اذا توفرت شروط المواصلات انتهى

وخلاصة الاقوال في البريد انهُ الطريق الوحيد لتوسيع نطاق العمارة وتسهيل موارد التجارة وتمهيد سبل المعارف وتقدم الصناعة وتحسين الهيئة الاجتماعية ولذا قد جعلتهُ الممالك المتمدنة من اهم الادارات وخصصت لهُ مديرين من اشهر الرجال دراية واقواهم همة واعظمهم غيرة وصداقة وسهلت لهُ الطرق برًّا وبحرًا وسنت لهُ احكاماً وقوانين مصونة من كل تعدي وفرضت مساعدتهُ وانقاذهُ في اوقات الخطر بعد الارواح الى غير ذلك مما سبق شرحهُ في محلهِ

هذا مع الاحتراس الكلي على انواع المراسلات وحفظ اسرارها والتأمين على الثمين منها واحكام كل الطرق في اشغالهِ محافظة على حقوق العالم وصيانتها ولم تقتصر فوائد البريد على اهالي البلاد بل تتصل لذات الحكومة ايضاً التي

فضلاً عن كونها تنتفع بنقل مراسلاتها الرسمية فهي تستورد من البرد مبالغ وافرة حتى ان بعضها يضاهي ايرادات حكومة صغيرة برمتها وغالبها عوض على الحكومة اضعاف ما كانت خسرتهُ عليها

وكل من بحث بتأمل في ايرادات البريد يجد انها تفوق غيرها اعتباراً لكونها ناتجة عن خدم مفيدة ومتحصلة باسلوب لطيف ومجموعة من اجر نثرية حتى ان منها ما يكون قيمتهُ مليماً واحداً اي اربع بارات او اقل وهذا مما يدل على ان هذه الايرادات العظيمة ناشئة عن وفرة العمل وليس عن علو الاجر ولذلك مصالح البريد تمتاز عن جميع المصالح بكونها لا تنظر لفائدتها الخصوصية بل للفوائد العمومية

والحكومات التي تراعي حقيقة واجبات البريد لا تمد يدها لايراداتهِ مهما عظمت مالم تتأكد انها فائظة من بعد استيفاء لوازمها التي تتأتى منها الفوائد العمومية اي ان تكون ايرادات البريد قد تكاثرت من طبعها بواسطة اتساع دائرة التراسل الدال على التقدم العام لانهُ من المعلوم ان البريد قد جعل لفائدة البلاد وليس لاستجلاب الايراد

ولذا لا يستعمل بهِ انواع الاقتصاد الاَّ بالاعمال وليس بالمعدات والعمال وذلك احتساباً لتزايد الاشغال وما يتصادف غالب الاحيان من ازدحامها حتى يكون مقدارها نحو ضعفها المعتاد او احتساباً لما يصيب احياناً بعض العمال من الامور الفجائية التي تضطر المصلحة لسد محلهم بغيرهم حالاً منعاً لعطل الاشغال الوقتية او تأخيرها بواسطة اضافتها على غيرهِ

لانهُ من المعلوم انهُ اذا أُحيل على العامل اشغال تفوق طاقتهُ فلا يمكن ان

يحسنها ولو فرضنا انهُ من ذوي النشاط والتجلد على العمل الطويل فالوقت الذي يلزم صرفهُ للقيام بهِ بمفردهِ يعود بالخسارة على الجمهور حيث اولاً يضطرون لتعب الوقوف والمزاحمة

ثانياً يضيعون الوقت في الانتظار فيتعطلون عن اشغالهم وربما تأخرت ايضاً ارسالياتهم لسفرية البريد الثانية وبذلك تفقد اصل المزية المقصودة من التساهيل العمومية ومثل ذلك لايصح ان يقاس على اشغال غير مصالح فانها ليست وقتية ولا مستديمة كالبريد

وبناءً على ذلك مصالح البرد تراعي دواماً حركة الاشغال فتزيد العمّال والمعدات على معدل ازديادها حرصاً على الفوائد المقصودة

ثم ان الفوائد الحقيقية من البريد لا تكمل الاَّ باستيفاء جميع شروطهِ نحو الصالح العام مثل انتشارهِ في جميع فروع البلاد تحت ادارة منظمة وسهولة الاجر بنوع يمكن بهِ كل انسان من اي درجة كان من التراسل بواسطة البريد خصوصاً في هذا العصر الذي اشعر جميع عالمهِ المتمدن بالاحتياج اليهِ وعرفت الحكومات فوائدهُ واهميتهُ ومضى زمن البرد الخصوصية التي لايهمها من البريد الاَّ فائدتها المالية وغاية مايقال في ذلك انهُ بقدر التساهيل تكون الفائدة للجمهور والايرادات للحكومة

وما مثل مصاريف البريد في اول امرهِ الاَّ كبذار الزرع الذي يأتي منهُ بدل الحبة مائة

وللغربيين بهذا العصر الفضل الاول في معرفة عظم فوائد البريد حتى صار عندهم كأنهُ من الامور الطبيعية والعوائد الدارجة في مقدمات الحديث فترى

الواحد منهم مثلاً بحال دخولهِ الى اي بلد يسأل اول من يقابلهُ عمَّا اذا كان محل البريد قريباً وما هي مواعيدهُ وكم مرة يسافر في اليوم الى غير ذلك

وليس للشرقيين شيءٌ مما ذكر الاَّ التغزل في اشعار العرب ولكن شتان بين مشرق ومغرب فان هؤلاء يقصدون اوصاف البريد اسمًا وأُولئك فوائدهُ فعلاً

بل انهم اي الغربيين جمعوا كلا المعنيين العربي والافرنكي وهذا ليس بامر حديث عندهم فقد جاء عن بعض الامم الاوروباوية المتقدمين انهم كانوا يحتفلون احتفالاً باهرًا عند ابتداء سير كل خط بريدي

وكان عند وصول اول بريد لكل محطة من الخط يقابلهُ الجمهور باصوات التهليل ورشق باقات الازهار العطرة والرياحين اليانعة

وقد استرسلوا بذكرهِ ايضاً في رواياتهم الادبية ومحاوراتهم ترسلاً بصفاتهِ واقرارًا بقدرهِ الذي اصبح عظيمًا عند كل امة عظيمة وجديرًا بان ينشد

وما انت عون القطر بل انت عينهُ ويعرف هذا السر من كان يفهمُ